وزارة التعليـــم العـــالي و البحـــث العلمـــي

جامعـــة ابـــن خلـــدون

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قســـم : العلـــوم الإنسانيـــة

فـــــرع : تـــاريـــــخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تخصص المغرب الأوسط الوسيط الموسومة بـــ :

العبيد في المغرب الأوسط

من قيام الدويلات الى غاية سقوط الموحدين ما بين القرنين

(2 - 8هـ/ 6 -12 م)

إعـــداد الطّـــلبـــة :

- سبـــع فتيحـــة
- سخاين عـــودة

إشـــراف:

أ . طيب بوجمعـــة نعيمـــة

الأستاذ بلقاســـم بن عـــودة.....رئيسا

الأستاذة طيب بوجمعـــة نعيمـــة .....مشرفا

الأستاذة شرقـــي نـــوارة .....مناقشا

السنـــة الجـــامـــعيـــة

1435 – 1436 هـ

2014 – 2015 م

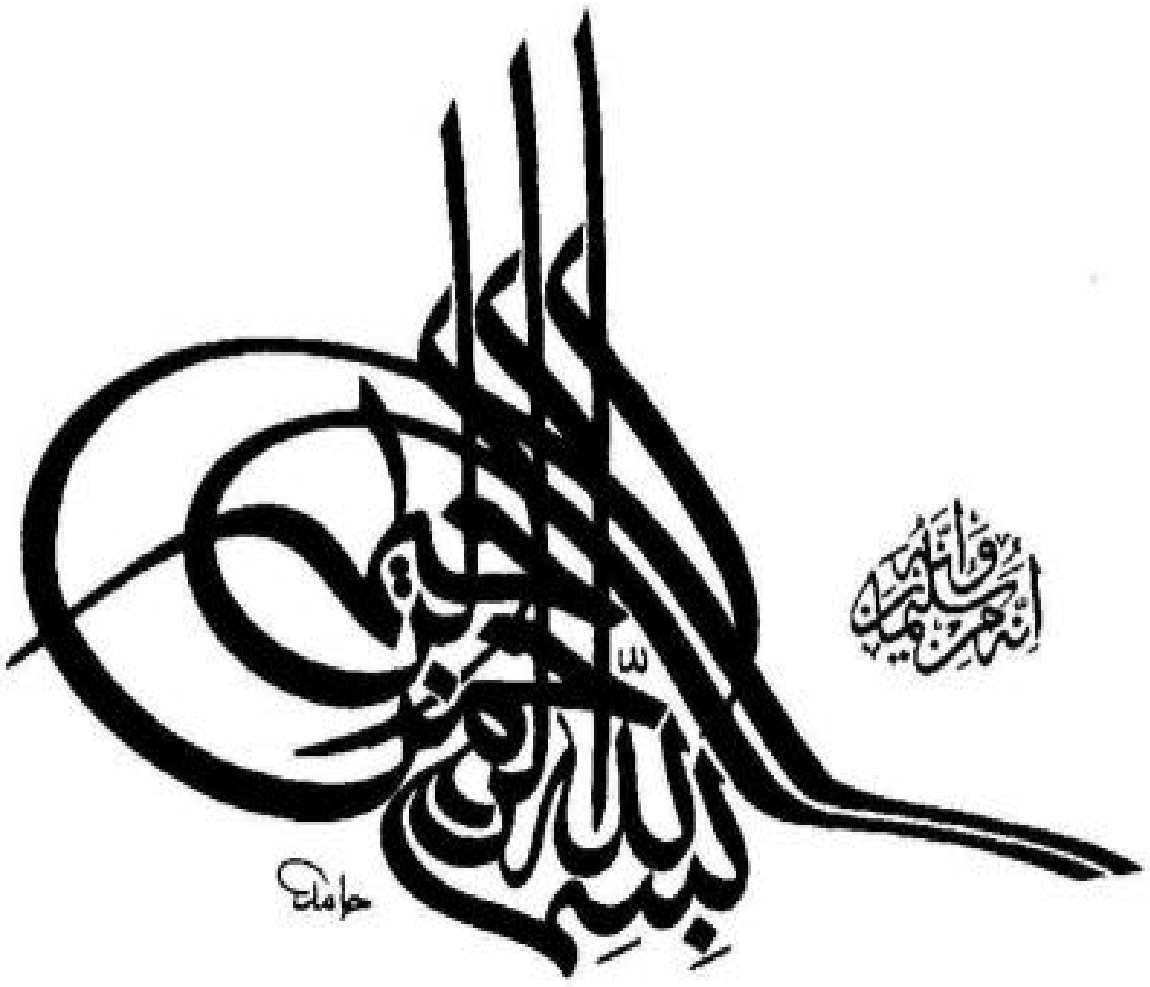
بسم الله الرحمن الرحيم
إنه عليم حكيم

شكر و تقدير

إن الشكر أولا و قبل كل شيء لله رب العالمين، الـــذي خلـــق وهدى و انعم علينا بنعم لا تحصى لها عددا أو نستطيع لها ثناء ، فالحمد كل الحمد و الشكر له نعم المولى و نعم النصير.

ثم أتقدم بجزيل الشكر من بعده إلى الأستاذة طيب بوجمعة نعيمـــة المشرفة على هذه المذكرة ، فكانت إرشاداتها و توجيهاتها السديدة هـــي المنبع الذي سرنا عليه طوال انجازنا لهذه المذكرة فلها منا جزيل الشـــكر و كمال العرفان .

كما نتقدم بالشكر الجزيل المفعم بالتقدير إلى الأستاذة شرقي نوارة و الأستاذة سموم لطيفة اللتان لم تـــبخلا علينـــا بتوجيهاتهمـــا القيمـــة و نصائحهما الرشيدة.

و إلى كل الأساتذة الكرام الذين نوروا عقولنا و مدو لنا يد العون و الذين رافقونا طيلة خمس سنوات و إلى كل من ساهم من قريـــب أو بعيد في تشجيعنا و نصحنا و مساعدتنا و لو بكلمة طيبة .

نسال الله النجاح في الدنيا و الفلاح في الآخرة

سبـــع فتيحـــة

سخاين عـــودة

جدول المختصرات

الاختصـــار	الكلمـــة
تح	تحقيق
تع	تعليق
تق	تقديم
مرا	مراجعة
ر	رسالة
تر	ترجمة
درا	دراسة
خرّ	خرّجه
ط	طبعة
ج	جزء
مج	مجلد
د .د . ط	بدون دار طبع
د .ت . ط	دون تاريخ طبع
ص	صفحة
ت	توفي
م	ميلادي
هـ	هجري
تص	تصحيح
د . ط	دون طبعة
ع	عدد
ق	قسم
//	إسم المؤلف نفسه في قائمة المصادر و المراجع

متحدة

تعتبر الدراسات التي تتناول النواحي الاجتماعية من أهم الدراسات التي تساعد على فهـــم التطورات و التغيرات التي تمس النظم الاقتصادية و السياسية و الفكرية لمجتمع ما ، نظرا لارتباطها ببعضها ارتباطا وثيقا ، و يعد البحث في ظاهرة العبيد ضـــمن حقـــل الدراســـات الاجتماعيـــة باعتبارها فئة اجتماعية سجلت حضورا فعالا في المجتمع الإسلامي ، يعود حضـــورها إلى فتـــرات موغلة في القدم ، مصدر جلبهم في الغالب الحروب و الصراعات التي كانت منتشرة بـــين الأمـــم و الشعوب ، كما شهد المجتمع المغربي عبر تاريخه الطويل هذه الظاهرة ، حيث برزت مـــع قيـــام الدويلات إلى غاية سقوط دولة الموحدين ، و كان لهذه العناصر الجديدة في المجتمع المغـــربي أثـــار ألقت بضلالها على كافة نواحي الحياة السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية.

و إن دراسة ظاهرة العبيد في بلاد المغرب لازالت تعاني نقصا واضحا باستثناء ما قدمتـــه بعض الدراسات الاجتماعية منها دراسة عبد الإله بنمليح " الرّق في بلاد المغرب و الأندلس " فقد تناول هذه الظاهرة بالتفصيل في بلاد المغرب و الأندلس ، بالإضافة إلى دراسة إبراهيم القـــادري " للإسلام السري في المغرب العربي " و تناول مختلف فئات المجتمع المنتجـــة مـــن عامـــة النـــاس و الشرائح المستضعفة.

و من هنا يطرح الموضوع إشكالية رئيسية تندرج تحتها مجموعة من التساؤلات:

كيف كانت وضعية العبيد في بلاد المغرب الأوسط ؟ و ما هي طبيعة العلاقة التي ربطـــت هذه الشريحة مع باقي شرائح المجتمع باعتبارها منتشرة في المؤسسات العسكرية للدولة و في الحياة الاجتماعية ؟

- عرف عن الدولة الرستمية تسامحها مع مختلف الأجناس ، فهل نالت هذه الفئـــة هـــذه المعاملة ؟ و هل كان لهم دور قي الحياة السياسية و الاقتصادية ؟
- مما تكون المجتمع الحمادي ؟ و هل كان هناك انسجام أم تنافر فيما بينـــها ؟ و كيـــف نظرت الدولة المرابطية إلى فئة العبيد باعتبارها دولة قامت على أساس الأمـــر بـــالمعروف و النهي عن المنكر ؟ و ما هي أهم روافد استجلاب العبيد في المجتمع الموحدي ؟

إن النقص الحاصل في دراسة ظاهرة العبيد في المغرب الأوسط كانت السبب الأساسي في اختيارنا لهذا الموضوع ضمن فترة محددة من قيام الدويلات إلى غاية سقوط دولة الموحدين و هذا لتسليط الضوء على فئة أهملها المؤرخون رغم كثرة أعدادهم و دورهم المتميز في مجتمع المغرب الإسلامي.

و لقد واجهتنا عدة صعوبات لعل من أهمها قلة المصادر التي خصت الموضوع بالدراسة خاصة الدولة الحمادية فلم نجد أي مصدر أو مرجع يتحدث عن فئة العبيد في المجتمع الحمادي باستثناء ما ورد عنهم أثناء سرد أخبار الحروب أو الحملات العسكرية ، و لمعالجة هذا الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي القائم على استقاء المعلومات من المصادر و المراجع ، ثم العمل على تحليلها،كما اعتمدنا على المنهج الوصفي في وصف عدة أماكن.

وفي بحثنا هذا اعتمدنا على مجموعة من المصادر أهمها :

أولا – المصادر التاريخية :

- ابن الصغير المالكي ، " أخبار الأئمة الرستميين " افادنا في معرفة ظروف تواجد العبيد في المجتمع التيهرتي.
- و الشماخي (ت 928 هـ / 1522 م) " السير " الذي أفادنا في معرفة دور العبيد في الحياة السياسية للدولة الرستمية.
- أما ابن سماك العاملي " الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية " توصلنا من خلال كتابه إلى اكتشاف المعاملة التي كان يعامل بها العبيد خلال العصر المرابطي .
- و ابن عذارى المراكشي (ت 712 هـ / 1312 م) " البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب " أفادنا في معرفة مصادر جلب العبيد خلال العهد المرابطي.
- اما البيذق (ت 555 هـ / 1160 م) " أخبار المهدي بن تومرت " الذي أفادنا في معرفة مصادر جلب العبيد عند الموحدين .
- و ابن القطان " نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان " إكتشافنا من خلال كتابه الدور الذي كان يقوم به العبيد في الجيش الموحدي .

- و عبد الواحد المراكشي (ت 647 هـ) " المعجب في تلخيص أخبار المغـــرب " أفادنا في معرفة طبقات المجتمع الموحدي .

ثانيا : المصادر الجغرافية :

- الاصطخري (ت 346 هـ / 957 م) " المسالك و الممالك " الذي أفادنـــا في التعـــرف بالعبيد السود و كيفية انتقالهم إلى الديار الإسلامية .
- و البكري (ت 487 هـ / 1094 م) " المغرب في ذكر حلى المغرب " اكتشفنا من خلال كتابه النشاطات التي كانت تقوم بها الجواري السودانيات.
- أما الإدريسي (ت 558 هـ / 1163 م) " نزهة المشتاق في اختراق الآفـــاق " أفادنـــا في تخريج بعض الأماكن الجغرافية .

و بالإضافة إلى هذه المصادر اعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها :

- عبد الإله بنمليح " الرّق في بلاد المغرب و الأندلس " حيث أفادنـــا في معرفـــة مختلـــف النشاطات التي كان يقوم بها العبيد .
- و فاطمة قدورة الشامي " الرّق و الرقيق " توصلنا من خلال كتابها إلى معرفـــة مصـــادر جلب العبيد في المغرب الإسلامي .
- و لطيفة بشاري " الرّق عند الشعوب القديمة " أفادنا في معرفة نشأة الرّق .
- أما إبراهيم بحاز " الدولة الرستمية " أفادنا في معرفة نشاط العبيد في المجتمع الرستمي .
- و الحبيب الجنحاني " المجتمع العربي الإسلامي " الذي أفادنا في معرفة مصادر جلب العبيد عند الرستميين .
- و إبراهيم القادري بوتشيش " مباحث في التاريخ الاجتماعي " اكتشفنا من خلال كتابـــه المعاملة التي حظي بها العبيد في المجتمع المرابطي .
- أما عز الدين عمر موسى " الموحدون في الغرب الإسلامي " الذي أفادنا في معرفـــة دور العبيد في الجيش الموحدي بالإضافة إلى مراجع أخرى.

وبناءا على هذه المادة العلمية التي توفرت لدينا ، قسمنا بحثنا إلى مدخل و فصلين ، المدخل تناولنا فيه نشأة الرّق في الإسلام.

أما الفصل الأول جاء بعنوان: مفهوم العبيد و " أنـــواعهم ، مصـــادرهم ، نشـــاطاتهم " و قسمناه إلى ثلاثة مباحـــث ، تطرقنـــا بالدراســـة في المبحـــث الأول إلى التعريـــف اللغـــوي و الاصطلاحي لمصطلح العبيد ، ثم أشرنا في المبحث الثاني إلى أنواع العبيد و ذكـــر مواصـــفات و مميزات كل نوع ، أما المبحث الثالث تناول دور العبيد في الحياة الاجتماعيـــة داخـــل المنـــازل و خارجها بالإضافة إلى أعمالهم في المجال الاقتصادي.

أما الفصل الثاني حمل عنوان : العبيد في بلاد المغرب الأوسط ، و قسمناه بدوره إلى أربعة مباحث و تناول كل مبحث ظروف و مجال تواجد العبيد و دورهم في مختلف جوانـــب الحيـــاة في كل من الدولة الرستمية ، الحمادية و الدولة المرابطية إلى غاية سقوط دولة الموحدين ، و ذلك حسب التسلسل الزمني لهذه الدول.

و في الأخير ختمنا البحث بجملة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها بالإضافة إلى مجموعـــة من الملاحق إضافة إلى قائمة المصادر و المراجع و في الأخير فهرس الموضوعات.

كان الإنسان في القديم يعيش بالمناطق المحيطة بالبحر المتوسط و كان ينتقل من مكان لآخر و كل ذلك من اجل جمع القوت و قد اعتمد في كل ذلك على عضلاته ، و مع إدراكه لقيمة العمل بدأت حاجته إلى اليد العاملة لصناعة الأدوات و تهيئة الأرض و البذر ، فتغير نمط حياة الناس مما اثر في علاقتهم ببعضهم ، فاتسمت بالتنافس على مصادر القوت و أصبح الفرد يلجا إلى الهجوم على غيره ، و كان ضحايا هذا الصراع هم الضعفاء أفراد و جماعات[1].

و عندما اتسع النشاط الاقتصادي و تنوعت موارد الرزق تفطن المنتصر في القتال إلى أن الأسير الذي ينفعه هو الأسير الحي ، فأبقى عليه و استخدمه في مختلف الأعمال فكسب الأسرى الحياة و فقدوا الحرية و أصبحوا عبيدا للمنتصرين ، و واصل الإنسان استعباد أخيه الإنسان عبر العصور دون أن يجد حرجا في ذلك[2] ،و العبيد هم اللذين لا يملكون أية وسيلة للإنتاج بل هم أنفسهم مملوكون[3] و يفقدون حقهم في التملك و التعبير و الانتقال [4] و هم إما بيض أو سود و معظمهم يباع و يشترى في الأسواق ، و بعضهم كانوا نتيجة للحروب إذ سيقوا كأسرى إلى أراضي المنتصر ، وكان غالبيتهم من السود و قد عرفوا بالأحباش نسبة للحبشة أو السودان [5].

أما البيض فكانوا يجلبون من بلاد الروم و الترك و كان لتجارة العبيد أسواق كثيرة بحيث كان النخاسون يعرضون بضاعتهم إمام المشترين على حجر مرتفع ليتيسر لهم معاينتهم و كانوا أحيانا يضعونهم داخل أقفاص كبيرة [6]و يعلق في رقبة كل منهم قطعة من الجلد يكتب عليها

---

(1) بشاري لطيفة ، الرق عند الشعوب القديمة . الجزائر ، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، ط:1 ، 2011 ص ص : 8 - 13.

(2) المرجع نفسة، ص: 9.

(3) دلو برهان الدين ، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي . لبنان، دار الفرابي ، ط : 1 ، 1985، ص: 65.

(4) محاسنة محمد حسين ، الحضارة الإسلامية . الأردن ، مركز بريد النشر ، ط : 1، 2005 ، ص: 177.

(5) النجار فخري خليل ، تاريخ الحضارة الإسلامية . الأردن ، دار صفا للنشر و التوزيع ، ط : 1 ، 2011 ، ص:92.

(6) المرجع السابق ، ص : 92.

خصائص حاملها [1]، و كانت ظاهرة الرق معروفة قبل الإسلام حيث انتشرت عند معظم الشعوب القديمة . كالفرس، اليونان و الرومان ... [2].

و كان لظاهرة الاسترقاق أثار سلبية و أخرى ايجابية ، فإيجابياتها أنها كانت أداة بناء و عمران ، فالمدن القديمة العامرة بمعابدها و قلاعها و حصونها بنيت بأيديهم ، و أما السلبية كون العبيد أداة هدم في مجال الاقتصاد و الناحية الاجتماعية ، مثلا كان العبيد ينتج بقوة و كان شعوره بفقدان شخصيته الإنسانية و كرامته يثير فيه الكراهية و الحقد [3]، و كانت طبقة العبيد في مجتمعات ما قبل الإسلام طبقة محرومة من الامتيازات و مثقلة بالواجبات نحو سادتها إذ أوكلت إليهم الأعمال التي أنف العرب عن القيام بها مثل : الرعي و الحدادة و النجارة [4].

و قد يستعيد بعض العبيد حريتهم مقابل بعض الخدمات لأسيادهم منها ، المشاركة إلى جانبهم في الحروب [5]و لابد من الإشارة هنا إلى مسالة العبيد كواحدة من القضايا الاجتماعية التي عمل الإسلام على القضاء عليها و الحد منها ، و كلنا نعرف موقف الإسلام من هذه الظاهرة حيث حرم استعباد [6] الحر دون سبب مشروع و اقر لكل إنسان حريته [7]و قد رأينا كيف سعى الرسول صلى الله عليه و سلم و خلفاؤه الراشدون الذين استنكروا الظاهرة و اعتبروها شاذة و يتوجب الحد منها قدر المستطاع [8].

---

(1) موسى عايدة ، تجارة العبيد في إفريقيا . الجزائر ، وزارة الثقافة ، د ط ، 2009 ، ص: 23.

(2) محاسنة محمد حسين ، الرجع السابق، ص:177.

(3) الترمانيني عبد السلام ، الرق ماضيه و حاضره . الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، د ط ، 1985 ، ص: 19.

(4) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية. بيروت. لبنان ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، د ط ، د.ت.ط ، ص:437.

(5) نزيه شحادة ، صفحات من الحضارة الإسلامية . بيروت . لبنان ، دار النهضة العربية ، ط :1، 2006، ص:29.

(6) خليل عماد الدين ، مدخل إلى التاريخ الإسلامي ، لبنان ، المركز الثقافي العربي ، ط: 1 ، 2005 ، ص : 219.

(7) صبحي الصالح ، النظم الإسلامية نشأتها و تطورها . بيروت ، لبنان ، دار العلم للملايين ، ط :1 ، 2003 ، ص : 104.

(8) خليل عماد الدين ، المرجع السابق ، ص : 219.

فالإسلام لم يشرع ظاهرة الاستعباد كما شرعته الأمم الأخرى و إنما شرع العتق [1] و رغب فيه لقوله تعالى :﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾.[2]

و لاحظنا أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يشترى العبيد ثم يعتقهم أو يساعد العبيد المملوكين لغيرة على شراء أنفسهم ليضرب بذلك مثلا حسنا للمسلمين ليقتدوا به ، و الرسول صلى الله عليه و سلم كان دائما يذكر بالثواب العظيم لكل من يعتق عبدا [3].

حدثنا احمد ابن يونس : حدثنا عاصم بن محمد قال: حدثني واقد بن محمد قال : حدثني سعيد بن مرجانة صاحب علي بن حسين ، قال : قال لي أبو هريرة رضي الله عنه قال : النبي صلى الله عليه و سلم " أيما رجل اعتق امرءاً مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار" ، و حدثنا موسى ابن مسعود عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : " أمر النبي صلى الله عليه و سلم " بالعتاقة في كسوف الشمس "[4] و لم يكتف الإسلام بالترغيب في العتق و إنما استوجبه في حالات معينة مثل : كفارة عن القتل الخطأ ، و عن اليمين... ، كما جعل الله تعالى في موارد الزكاة سهما مخصوصا ينفق في تحرير العبيد.

و من خلال العمل الذي قام به النبي صلى الله عليه و سلم ل " عند شراء العبيد ثم عتقهم"، شجع على تحرير هؤلاء العبيد الذين وجدوا في الإسلام حريتهم و عقيدتهم ، فلا عجب أن نرى بعد ذلك كثيرا من الصحابة خدموا النبي صلى[5] الله عليه و سلم و منهم : انس بن مالك

---

[1] **العتق** : عَتَقَ، عتقا، و عُتقَ عتاقَةً و العتق عكس الرق، ينظر : غالب حنا ، كتز اللغة العربية " موسوعة في المرادفات و الأضداد و التعابير " . لبنان ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط : 1 ، 2003 ، ص: 104.

[2] سورة البلد ، الآية ، (13 – 15).

[3] الحاج حسن حسين ، حضارة العرب في صدر الإسلام . لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط : 2، 2006 ، ص: 246.

[4] البخاري (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن الأحنف) ، صحيح البخاري، بيروت ، لبنان ، دار صادر ، د. ت . ط ، ص :441.

[5] الحاج حسن حسين ، المرجع السابق، ص: 246.

و بلال بن رباح الحبشي ، فالنبي صلى الله عليه و سلم لم يكن ملكا تستهويه القصور و الخدم و الحشم و الجواري [1].

و حكى الرسول صلى الله عليه و سلم أن أخته الشيماء جاءت إليه فحياها و أكرمها فكلمته في السبايا و قالت : " إنما هن خالاتك و أخواتك "[2] ، و حدثنا عبيد الله بن موسى عن هشام بن عروة عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه و سلم : أي العمل أفضل ؟ قال :" إيمان بالله ، و جهاد في سبيله " قلت : فأي الرقاب أفضل ؟ قال :" أغلاها ثمنا و أنفسها عند أهلها "[3] و قال مالك ابن انس : " من اعتق عبدا له ثبت عتقه حتى تجوز شهادته و تتم حرمته و يثبت ميراثه ، فليس لسيده أن يشترط عليه مثل ما يشترط على عبده من مال أو خدمة "[4] لأن الرسول صلى الله عليه و سلم قال :" من اعتق شريكا له في عبد قوم عليه قيمة العدل فأعطى شركاءه حصصهم و عتق عليه العبد ، و إلا فقد منعه ما عتق " [5].

المغزى من هذا الحديث أن من يعتق عبد يجب أن يثبت له عتقه و ذلك بان لا يشترط عليه مثل ما يشترط على عبده من مال أو خدمة أو غيرها.

و حدثني عن مالك عن ابن شهاب أن رجلا من الأنصار جاء رسول الله بجارية له سوداء ، فقال : يا رسول الله إن علي عتق رقبة مؤمنة فان كنت تراها مؤمنة اعتقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم " أتشهدين أن لا اله إلا الله ؟ " قالت: نعم ، قال :" أتشهدين أن محمدا

---

[1] شباروا عصام محمد ، الدولة العربية الإسلامية الأولى . لبنان ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، ط : 3 ، 1995 ، ص ص : 226- 227.

[2] اليعقوبي (احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح العباسي) ، تاريخ اليعقوبي . لبنان ، دار صادر ، ط : 1 ، 2010 ، ج : 2 ، ص : 63.

[3] البخاري ، المصدر السابق ، ص : 441.

[4] مالك بن انس ، الموطأ برواية يحي الليثي . تح : ذواق الجراح ، لبنان ، دار صادر ، ط : 1 ، 2004 ، ص : 355.

[5] مسلم (أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري) ، صحيح مسلم . بيروت ، دار صادر ، د ط ، د ت ط ، ج : 3 ، ص : 561.

رسول الله ؟ " قالت نعم ، قال :" أتوقنين بالبعث بعد الموت ؟ " قالت نعم ، فقال : " رسول الله اعتقها "[1].

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " أربع من أتى الله عز وجل بواحدة منهن وجبت له الجنة : من سقى هامة صادية ، أو أطعم كبدا جائعا ، أو كسا جلدة عارية ، أو اعتق رقبة عانية "[2] ، و حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " من تولى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله و الملائكة ، لا يقبل منه عدل و لا صرف " [3].

و كان آخر عمل قام به النبي صلى الله عليه و سلم في حياته أنه حرر جميع مواليه ليقتدي كل مسلم بسنته ، فلو منع النبي من امتلاك العبيد لكان معنى ذلك حرمانه من فرصة لتحريرهم [4]. و عندما توفي النبي صلى الله عليه و سلم لم يخلف درهما و لا عبدا و لا امة فقال :" إن النبي لا يورث ، و لا نورث ، ما تركنا صدقة " [5] .

و أما عن مصادر العبيد في الإسلام نجد أهم مصدر كان الأسر في الحروب فإذا فتح المسلمون بلدا جاز لهم أن يستعبدوا سكانها إذا لم يدخلوا الإسلام ، ثانيا : الشراء حيث كانت الوسيلة الرئيسية للحصول على العبيد و انتشرت في العصر الإسلامي في معظم المدن الكبرى ثالثاً: الولادة ، فمن كان يولد من أبوين عبدين يكون عبدا ، و الميراث و هو ما يصل إلى شخص بطريق الميراث عمن يملك العبيد بالإضافة إلى الهدية إذ نجد الجواري تهدى عادة إلى الأمراء و لهذا جاءت دعوة الإسلام إلى المساواة بين جميع الناس على اختلاف ألوانهم و أشكالهم و أعرافهم [6].

---

[1] مالك ابن انس ، المصدر السابق ، ص : 356.

[2] اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص ص : 91 - 92 .

[3] مسلم ، المصدر السابق ، ص : 564.

[4] الحفاف عبد الرحمان ، مدخل إلى معرفة الإسلام . مر : محمد الصالح رمضان ، الجزائر ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، ط : 4 ، 2007 ، ص : 121.

[5] شبارو عصام محمد ، المرجع السابق ، ص : 227.

[6] محاسنة محمد حسين ، المرجع السابق ، ص ص : 178 – 179.

و الإسلام لم يسمح بالتفريق بين الأبيض و الأسود ، و لا بين الغني و الفقير لقوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1]، فالفقر و الغنى من صفات المالكين لان من صح عليه الملك لا يصبح وصفه بالغني [2] ، و نلاحظ أيضا أجمل صورة للمساواة و ذلك عندما قدم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القدس و معه غلامه ، و لم يكن معهما إلا ناقة واحدة ، فكانا يركبانها على التناوب إلى أن اقتربا من تلك المدينة و كانت النوبة للغلام فاركبه عمر و سعى خلفه ماشيا حتى وصلا [3].

و انسجاما مع هذه الدعوى بدأ الإسلام بتنظيم حال الأسرى تمهيدا لإعادتهم إلى أصل الحرية و لم يترك الإسلام مجالا أو طريقة يمكن بها تحرير العبيد إلا و دعا لإتباعها ، لذلك وجدت وسائل متعددة لتحرير العبيد[4] في الدولة الإسلامية منها : المكاتبة و ذلك بان يشترط في عقد البيع أن العبد يكاتب على نفسه بثمنه , فإذا سعى و أداه عُتق ، و قيل أن المكاتبة أن يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجمه عليه ، و سميت المكاتبة لما يكتب للعبد عليه على السيد من العتق إذا أدى ما فورق عليه [5]، و وردت إشارة إلى هذه الطريقة في القرآن الكريم لقوله :

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾[6]

---

[1] سورة النور ، الآية (32).

[2] المالكي عبد الوهاب ، المعونة على مذهب الإمام مالك . تح : عبد الحق حميش ، تلمسان ، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، د . ط ، 2011 ، ج : 2 ، ص : 376.

[3] أبو خليل شوقي ، الإسلام في قفص الاتهام . دمشق ، دار الفكر ، د ط ، 1980 ، ص : 156.

[4] محاسنة محمد حسين ، المرجع السابق ، ص : 179.

[5] علي جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . بغداد ، جمعية بغداد ساعدت على نشره ، د ط ، د ت ط ، ج : 4 ص : 367.

[6] سورة النور ، الآية (33).

و التدبير هو أن يعلق المالك عتق مملوكه على شرط ، هو بعد وفاته كان يقول له أنت حر بعد موتي ، فلا يرثه أهله [1]، و الجارية التي تلد لسيدها ولدا تصير حرة و لا يجوز لسيدها بيعها في حياته و هي أم الولد التي حررها مولد ابنها ، و من عذب مملوكه أو مثل به عتق عليه [2].

و قد جعل الله سبحانه و تعالى احد الوجوه التي تنفق فيها أموال الزكاة لتحرير العبيد " عتق الرقاب "، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[3] فتكون بان يعطي الأمير أو العامل على الزكاة للعبيد المكاتب ما يستعين به على تسديد ما عليه للحصول على حريته ، أو أن يشتري الإمام بمال الصدقة العبيد و يعتقهم [4].

و جعل الإسلام أيضا الكفارات وسيلة لتحرير العبيد مثل كفارة القتل الخطأ أو كفارة الإفطار في رمضان ، أو كفارة اليمين إذا لم يكن صادقا فان من بين الخيارات للتكفير عن هذه الذنوب هو تحرير رقبة مؤمنة ، و قد رغب الإسلام في اعتناق العبيد تطوعا و ابتغاء وجه الله تعالى [5]و الحصول على الأجر و الثواب ، قال تعالى:﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [6]و فرض الإسلام على السيد أن ينفق على عبده الطعام و الكسوة و الطبابة فان كان السيد بخيلا على نفسه ، و راجع العبد القاضي فقد يلزم سيده أن يلبسه أحسن الثياب و يطعمه مما يأكل هو و عائلته [7].

---

(1) علي جواد ، المرجع السابق ، ص: 367.

(2) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص : 471.

(3) سورة التوبة ، الآية (60).

(4) محاسنة محمد حسين ، المرجع السابق ، ص : 180.

(5) المرجع نفسه ، ص : 180.

(6) سورة البلد ، الآية (11-14)

(7) الحاج حسن حسين ، المرجع السابق ، ص : 247.

و كان النبي صلى الله عليه و سلم يوصي بالرفق بالعبيد و معاملتهم معاملة حسنة فقال :" لا تحملوا العبيد ملا يطيقون و أطعموهم مما تأكلون " و يقول صلى الله عليه و سلم " إن الله ملكَكُم إياهم و لو شاء لملكهم إياكم" و كان عليه السلام ينهى عن مخاطبة العبيد " بعبد أو أمة " ، و يسال المسلمين أن يستعملوا كلمة " فتى ، فتاة " و غلام ، كما نهى العبيد أن يخاطبوا أسيادهم ب " ربي " فالله ربهم و رب الناس جميعا [1].

و الملاحظ أن الإسلام حارب ظاهرة الاستعباد و ضيق نطاقه و قصره على أسرى الحرب العادلة معاملة بالمثل و مع هذا فقد أوصى بهم خيرا و حث على عتقهم [2]و عملا بتعاليم القران الكريم و وصايا الرسول صلى الله عليه و سلم ، كثر العتق و استقامت معاملة العبيد في رفق الإسلام و رحمته فالإسلام حث الناس على تحرير عبيدهم ، و جعله تعبيرا عن طاعة الله تعالى و تقواه و قد أعطى مثلا عمليا الرسول صلى الله عليه وسلم حيث آخى بين عمه حمزة و مولاه زيد ، و من هنا نستطيع القول أن الإسلام ضروري للمجتمع الإسلامي كما هو ضروري أيضا لسائر المجتمعات الإنسانية [3].

و إن صنيع الإسلام الذي أوجبه قبل أربعة عشرة قرنا هو غاية ما تستطيعه الدول اليوم في إنصاف أسراها و أسرى أعدائها ، فأما أن يكون لها صنيع أكرم منه فلا ندري كيف يكون و لا كيف يأتي لنظام من النظم الدولية أن يستقر عليه ، و إن زوال العبيد هو أحد الهدايا التي قدمها الإسلام للإنسان و الإنسانية [4].

أما فيما يخص بلاد المغرب الإسلامي فقد وجدنا أن بعض الولاة قد ضاهوا الخلفاء من حيث عدد الجواري و العبيد ، العاملين بقصورهم ، فقد بلغ عدد الخدام الذين كانوا في خدمة

---

[1] الحاج حسن حسين ، المرجع السابق ، ص : 247.

[2] الزحيلي وهب ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي " دراسة مقارنة " . دار الفكر ، د ط ، 1965 ، ص : 490.

[3] حسن الحاج حسين ، المرجع السابق ، ص : 247.

[4] أبو خليل شوقي ، المرجع السابق ، ص ص : 127 -158.

موسى ابن نصير الآلاف و لعل هذا العدد الهائل هو الذي أثار خوف الخليفة هشام بن عبد الملك من استقلال موسى ببلاد المغرب الإسلامي [1].

و يذكر لنا ابن عبد الحكم " ق 3 هـ / 9 م " ، أن يزيد ابن أبي مسلم قد قتله رجل من حرسه يقال له حزيز ، فاقبل غلام لمحمد بن زيد القرشي فدخل عليه السجن فقال :" ابشر إن يزيد بن أبي مسلم قد قتل " فقال له محمد " كذبت " و لما تيقن محمد بن يزيد بموت يزيد بن أبي مسلم " اعتق العبيد " [2].

و من المؤكد أن المغاربة تعرفوا على بلاد السودان و ازدهار التجارة مع مناطقه و هذا كان عاملا من العوامل المؤدية على اقتناء العبيد السود فالشريف الإدريسي حلل العلاقة الوطيدة مع بلاد السودان و ضرورة توفر التجارة على أعداد كثيرة من العبيد ، عندما أشار إلى أن إرسال تاجر اغماتي واحد لأعداد كثيرة من الجمال المحملة بقناطير البضائع تطلب منه تجنيد عدد كبير من العبيد و الأيدي العاملة [3].

و بالتالي نرى أن أثمان العبيد في أسواق النخاسة تختلف باختلاف ألوانهم و أعمالهم و قوتهم الجسدية ، أو لجمالهن و ما يتقنون من صنائع إذا كن إماء ، و الواضح أن انتشار تجارة العبيد تسبب في عدة مشاكل بين النخاسين و المشترين ، و هو ما حذا بالفقهاء إلى محاولة تقنينها حيث أدت هذه التجارة إلى ثراء عدد كبير من النخاسين و التجار ، الشيء الذي جعلها نشاطا بارزا اتخذه بعض التجار و كثير من المغامرين وسيلة للإثراء السريع [4].

و في بلاد المغرب يبدوا أن عدد العبيد كان مرتفعا في المناطق الواقعة على أبواب الصحراء أو المتفاخمة لها ، كأعالي درعة ، فكان اغلب شيوخ الأودية العليا يملك عبدين أو ثلاثة على الأقل

---

[1] عينوز عبد العزيز . بل الفايدة عبد العزيز . الغرايب محمد ، الرق في تاريخ المغرب . الرباط . المغرب ، ديور الجامع ، د ط ، 2010 ، ص : 28.

[2] ابن عبد الحكم (عبد الرحمان بن عبد الله) ، فتوح إفريقيا و الأندلس . تح : عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبنانية ، د ط ، 1964 ، ص : 88.

[3] عينوز عبد العزيز و آخرون ، المرجع السابق ، ص : 30.

[4] المرجع نفسه ، ص ص : 29 - 30.

و بسبب هذه الأعداد الهائلة من العبيد التي كانت تجلب سنويا إلى مختلف الحواضر الإسلامية سواء في المشرق أو المغرب [1]. فإن عدد السكان عرف نموا كبيرا و مهامهم لم تقتصر على العمل الزراعي و الحرفي فقط و إنما كان البعض منهم يشكل عنصرا أساسيا و هاما في الجيش [2].

و لقد كان الهدف الأسمى الذي سعى كل العبيد إلى تحقيقه هو الحصول على حريتهم و الارتقاء إلى مستوى سادتهم ، خصوصا و أن السادة قاوموا في البداية فكرة الاختلاط بعبيدهم إلا أن ما هو ملاحظ سواء في المشرق أو المغرب أن بعض هؤلاء السادة ، و تحت ضغط الأزمات اضطر إلى تزويج بناته لعبيده ، و هو ما كان يؤدي إلى حصولهم على حريتهم و بالتالي دخولهم إلى الأسرة العربية من أبوابها العريضة [3].

و في الأخير نستنتج أن الإسلام عمل على الحد من ظاهرة الرق لكنه لم يستطع القضاء عليها برغم من وضعه لقوانين و تدابير لإلغائها لكنها ظلت موجودة في صورتها القديمة في عدة أماكن من العالم و الإسلام لم يشرع هذه الظاهرة و إنما شرع العتق و كان النبي صلى الله عليه و سلم دائما يذكر بالثواب العظيم لكل من يعتق عبدا و يحرره.

---

[1] عينوز عبد العزيز و آخرون ، المرجع السابق ، ص : 31.

[2] بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 78.

[3] عينوز عبد العزيز و آخرون ، المرجع السابق ، ص : 33

الفصـــل الأول: مفهـــوم العبيـــد و " أنواعهـــم، مصادرهـــم، نشاطهـــم "

المبحـــث الأول: العبيـــد و أنواعهـــم

1 – مفهـــوم العبيـــد

- التعريف اللغوي
- التعريف الاصطلاحي

2– أنواعهـــــم

- العبيد السود
- العبيد البيض

المبحـــث الثـــاني : مصـــادر العبيـــد

1 – الحـــرب و الأســـر

2 – الفقـــر و التجـــارة

المبحـــث الثـــالث : النشـــاط الاقتصـــادي و الاجتمـــاعي للعبيـــد

1– النشـــاط الاقتصـــادي

- لزراعة و الصناعة
- التجارة

2– النشـــاط الاجتمـــاعي

- الخدمة في البيوت
- الخدمة خارج البيوت.

المبحث الأول : العبيـــد و أنواعهـــم

1 – مفهـــوم العبيـــد :

– التعريـــف اللغـــوي :

لقد وجدت عدة تعاريف لمصطلح العبيد في اللغة ، منها : " الرِّقُ " بالكســـر أي الملـــك و العبودية و رَقُ صار في رِقٍّ ، و في الحديث عن علي رضي الله عنه قال : " يحط عنه بقدر مـــا عتق و يسعى فيما رقَ منه " ، و في الحديث : " يودى المكاتب بقدر ما رقَّ منه دية العبد و بقدر ما أدى دية الحُرِّ " ، و معناه أن المكاتب إذا جنا عليه جناية ، فإن الجاني عليه يدفع إلى ورثته بقدر ما كان أدى من كتابته دية الحُرِّ ، و يدفع إلى مولاه بقدر ما بقي من كتابته دية عبدٍ [1].

و " الرقيق " كلمة مأخوذة من الرِّق و هو " الملك " ، و يقال " رَقَ العبد و ارقَّه و استرقه فهـــو مَرقُوق و مُرَقٌ و رَقِيقٌ " ، و معناها الضعف[2] ، و يعني أيضا " الرِّقَةُ " و منه رِقَةُ القلب و قـــال اللحياني " أَمةُ رَقِيقٌ و رَقِيقُهُ من إِمَاءٍ رَقَائِقُ " و الرَقِيقُ هو المملوك الواحد أو يطلق على الجماعة . أما كلمة عبد فهي تعني الشخص الواحد و جمعها عبيد و من لفظـــة عبـــد اشـــتقت كلمـــت العبودية[3].

و قد رَقَ فلان أي صار عبدا ، و يسمى العبيد رقيقا لأنهم يرقون لمـــالكهم و يخضـــعون و منه رَقَ العبد و اَرَقَّه و استرقَّهُ و الرِّق هو أيضا العبودة و الرقيق العبد[4] . و الرِّق هـــو كـــون الإنسان مستعبدا لغيره مملوكا له فاقد التصرف بذاته و مكاسبه[5].

---

[1] ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري) ، لسان العرب . لبنـــان ، دار صـــادر للطباعـــة و النشر ، د ط ، د ت ط ، مج : 5 ، ص : 205.

[2] شوقي عبد القوى عثمان ، التجارة بين مصر و إفريقيا في عصر المماليك . القـــاهرة ، المجلـــس الأعلـــى للثقافـــة ، د ط 2000، ص : 93.

[3] قدورة الشامي فاطمة ، الرق و الرقيق في العصور الجاهليـــة و القديمـــة و صـــدر الإســـلام . بـــيروت ، دار النهضـــة العربية ، ط :1 ، 2009 ، ص : 21.

[4] ابن منظور ، المصدر السابق ، ص : 206.

[5] مجموعة مؤلفين ، الموسوعة العربي العالمية (ر – ز) ، المملكة العربية السعودية ، مؤسســـة أعمـــال الموســـوعة للنشـــر و التوزيع ، ط : 2 : 1999 ، ج : 11 ، ص : 257.

و أما القِنَانَةُ لغة : فعرفها ابن منظور بقوله :" العبد القِنُ الذي ملك هو و أبواه "[1]

و نجد ياقوت الحموي أيضا قول : أن القِن هو العبد الذي وَرِثَ عبوديته عن والديه[2] .

و إذا حاولنا معرفة تفسير الدين لكلمة رقيق ، وجدنا أنها لم ترد في القرآن الكريم و لم تذكر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم و لكن هذه الكلمات تسربت إلى كتب الفقهاء فعرفوها بقولهم : " ضعف معنوي و عجز حكمي شرع في الأصل جزاء عن الكفر"[3] .

– التعريف الاصطلاحي :

وجدت عدة تعاريف في الاصطلاح: و يقصد بهم العبيد أو المملوكين لغير هم ، و أصل العبودية الخضوع في القرآن [4] قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [5]

و قال : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [6]

و العبد المملوك خلاف الحر.

و قد استعمل القران كلمة " رَقَبَة " و عبارة " ما ملكت أيمانكم " في حديث أبي هريرة : لا يقل احد لمملوكه عبدي و أمتي و ليقل فتاي . و فتاتي ، هذا على نفي الاستكبار عليهم و أن ينسب عبوديتهم إليه ، فإن المستحق لذلك الله تعالى و هو رب العباد كلهم[7] .

---

[1] ابن منظور ، المصدر السابق ، ص : 205.

[2] الحموي ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي) ، معجم البلدان . بيروت ، دار صادر ، د ط ، 1977 ، مج : 4 ، ص : 408.

[3] جبر حسن ، أسس الحضارة العربية الإسلامية و معالمها . الكويت ، دار الكتاب الحديث ، ط : 2 ، 1999 ، ص : 167.

[4] نبهان يحي محمد ، معجم مصطلحات تاريخ . عمان ، دار يافا للنشر و التوزيع ، ط : 1، 2007 ، ص : 159.

[5] سورة البقرة ، الآية : (186).

[6] سورة الحجر ، الآية: (42).

[7] قعدان زيدان عبد الفتاح ، المعجم الإسلامي من باب الحناء – الكاف . عمان ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، ط: 1 2012 ، ج : 3 ، ص : 1307.

و تعتبر كلمة " قِن " أيضا عن معنى عبد ، و قِن جمع " قِيَان " بالكسر و " القَينُ و أَقنَان " ، يقال : " فلان له قَين و قَينَة عبد و أمة "[1] و كلمة القِن تعني العبد الذي ملك هو و أبـــواه [2] و القَينُ المملوك هو ملك سيده ، و قد اقتني و صار من مقتنيات مالكه بمعـــنى و ضـــع إنســـان في ملكية إنسان آخر [3].

و الرَقِيقُ كلمة تطلق على من فقد حريته من الناس و أصبح ملكا لغيره و هو العبد المحروم من العديد من الحقوق و هو أقوى في مجال العمل من الحر ، و كانوا يلقبون المسترق الأبـــيض " مملوكا " ، و المسترق الأسود " عبدا " ، و النساء البيض " جواري " ، و السود " إماء " [4] .

---

[1] حرمية الطيوبي ليلى ، القيان و الأدب في العصر العباسي الأول . لبنان ، مؤسسة الانتشار العـــربي ، ط: 1 ، 2010 ، ص : 20.

[2] قدورة الشامي فاطمة ، المرجع السابق ، ص : 23.

[3] الحفاف عبد الرحمان ، المرجع السابق ، ص : 121.

[4] التليسي بشير رمضان . الذويب جمال هشام ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية . لبنان ، دار المدار الإسلامي ، ط : 2 ، 2004 ، ص : 223.

2 – أنــواع العبيــد :

تعتبر أسواق النخاسة الأماكن المخصصة لبيع العبيد ، و قد انتشرت في معظم مدن بــلاد المغرب الإسلامي ، و اقبل المغاربة و الأندلسيين على اقتناءهم منها ، و كان التعامل يتم بواســطة السماسرة و النخاسين الذين يجلبون العبيد من بلاد جليقية [1] و افرنجة [2] و السودان [3] ارتــبط تواجد هذه الطبقة بازدهار الدول و ترف حياتها اليومية و سعة اقطاعاتها التي كانــت في أمــس الحاجة إلى أيدي عاملة رخيصة [4] و من خلال قراءتنا للمصادر وجدنا أن تصنيف العبيد يعود إلى لون بشرتهم ، لذا وجدنا نوعان منهما، " العبيد السود " ذوي البشرة السوداء ، و " العبيد البيض " ذوي البشرة البيضاء.

– العبيــد الســـــود :

وصف مارمول كربخال في كتابه " إفريقيا " بلاد السود بقوله إن بلاد السود التي يسميها الأفارقة كناوة ، و الزنج و النوبة هي أثيوبيا السفلى التي يدعمها بطليموس في ليبيا الداخلية يحدها المحيط غربا و مغارات الصحراء شمالا و أثيوبيا العليا جنوبا ، حيث توجد بلاد الحبشة و أثيوبيــا

---

(1) **جليقية** : الجلالقة من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، و هي تلي الغرب و تنحرف إلى الجوف و كانوا حــوالي مدينــة براقة التي في وسط الغرب ، و براقرة هذه أولية من قواعد الروم ، و دور مملكتهم شبيهة بماردة في إتقــان بناءهــا ، ينظــر : الحميري (محمد بن عبد المنعم) ، الروض المعطار في خبر الأقطار . تح : إحسان عباس ، بيروت ، مكتبــة لبنــان ، ط :1 ، 1970 ، ص : 169.

(2) **افرنجة** : في وسط الإقليم الخامس ، هي بلاد كثيرة الفاكهة غزيرة الأنهار و مدائنها متقنة الأسوار محكمة البنــاء ، آخــر حدودها بحر الشام ، و البحر المحيط بجوفها و تصل ببلاد رومة أيضا من ناحية القبلة ، و تتصل أيضا من ناحية الجوف بــبلاد المقابلة و منها بلد الرقيق النفيس و إليها يرد من بلاد المقالية ينظر : الحميري ، المصدر نفسه ، ص : 50.

(3) **السودان** : كلمة أطلقها العرب على كل البلاد الواقعة جنوبي مصر ، و جميع المناطق التي يســكنها الســود ، فتشــمل السودان كل المناطق التي تقع جنوبي الصحراء الكبرى و التي تمتد بين البحر الأحمر شرقا و المحيط الأطلسي غربا ينظر : شاكر محمود ، السودان . بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط : 2 ، 1971 ، ص : 9.

(4) بوتشيش إبراهيم القادري ، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث حتى ظهور الخلافة. الرباط ، مطابع منشورات عكاظ ، د ط ، د ت ط ، ص : 152.

القريبة من مصر شرقا و هذا الجزء من إفريقيا اكبر من جميع الأجزاء السابقة [1] و يمكن التمييز في العبيد السود عدة أصناف منها :

عبيد السودان الغربي :

انتقل هؤلاء العبيد من بلاد السودان إلى الديار الإسلامية ذكر الاصطخري (ق 4 هـ / 10 م) الذي يقع من المغرب الخدم السود من بلاد السودان ، و أضاف أن الخدم السود الذين يباعون في بلاد الإسلام منهم و ليس هم بنوبة ، و لا يزنج و لا من البجة إلا أنهم جنس اشد سوادا من الجميع[2] ، و كانوا يعمرون أسواق النخاسة إذ عرفوا بصفاتهم الجسمانية ، قوتهم و جلدتهم و صبرهم في تحمل أعباء الحرب و الغزوات ، و تميزوا أيضا بقلة الثبات و الإهمال و برعوا في الضرب على الدف و الرقص[3].

و ارتبط إقبال المغاربة على اقتناء عبيد السودان الغربي نتيجة للعلاقات التجارية ربطت بلاد المغرب و بلاد السودان الغربي ، فكان من ذلك تدفق السود عبيدا و أحرارا على بلاد المغرب الإسلامي ، و ساهمت السلطة السياسية في جلب العبيد السود و اتخذت منهم حرسا و جندا[4].

و إلى جانب العبيد السودان نجد الجواري السودانيات اللواتي اشتهرن بإتقان طهي الأطعمة لاسيما أصناف الحلويات مثل الجوزنيقات و القطائف و هو ما ذكره البكري (ق 4 هـ / 10 م) و بها طبخات محسنات تباع الواحدة منهن بماية مثقال و أكثر و تحسن عمل الأطعمة الطبية من الجوزنيقات و القطائف و أصناف الحلويات و غير ذلك [5].

---

(1) كربخال مارمول ، إفريقيا . تر : محمد حجي و آخرون ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، ط : 1 ، د ت ط ، ج : 1 ، 1984 ، ص : 51.

(2) الاصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) ، المسالك و الممالك . بيروت ، دار صادر ، د ط ، 1928 ، ص: 40.

(3) أمين احمد ، ضحى الإسلام . بيروت ، دار الكتاب العربي ، د ط ، د ت ط ، م : 1 ، ص : 88.

(4) بنمليح عبد الإله ، الرق في بلاد المغرب و الأندلس . بيروت ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط:1 ، 2004 ، ص : 201.

(5) البكري أبي عبيد الله ، المغرب في ذكر على المغرب . القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، د ط ، د ت ط ، ص : 158.

و لم تحض جميع الجواري السودانيات بنفس المعاملة فمنهم من حظين بمعاملة طيبة إلا أن هناك بعض الخادمات السودانيات عانين أحيانا من المهانة و الاحتقار ، فليس على الأمة السوداء أن تقوم بقضاء الحقوق الاجتماعية كالعزاء و نحوه، و إذا فعلت عد ذلك منها فضولا و لقيت سوء الجزاء ، كما يوضحه المثل: " فضول سيد في خبيبر مشت تعزي أبيعت في الأكفان " [1].

عبيد الحبشة :

الحبشة هي ارض واسعة شمالها الخليج البربري و جنوبا البر ، و شرقها الزنج ، و غربها البجة ، الحر بها شديد جدا ، و سواد لونهم لشدة الاحتراق و أكثر أرضهم صحاري لعدم الماء و قلة الأمطار [2].

و قد تحدث الإدريسي (ق 6 هـ) عن المبادلات التجارية التي تتم بين الحبشة و غيرها من البلاد ، من بينها تجارة العبيد في قوله : " إذ تخرج منها الرقيق و الفضة "[3] ، و قد عرف عن الحبشيات نعومة الأجسام و لينها و ضعفها ، و لضعفهم كانوا لا يصلحون للعمل البدني أما بالنسبة لحضور عبيد الحبشة في بلاد المغرب و الأندلس ، فقد وجدت إشارات إلى وجودهم في المجتمع المغربي الأندلسي ، فقد عملوا كخدم في البيوت لأمانتهن فضلا عن اشتغالهن بالغناء و الرقص فإنهم تركوا أثرا في الحياة الأدبية يتضح من تغني الشعراء بهم [4].

قال نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي:

وَ جَارِيةً مِن بَنَاتِ الحُبُوشِ بِذَاتِ جَنُونِ صِحَاح مُزَامِن

تَعشَقُهَا للتَصَابِي فَشِبتُ غَرَامًا وَ لَم أَكُ بِالشَيبِ رَاضٍ

وَ كُنتُ أُعَيرُهَا بِالسَوَادِ فَصَارَت تُعيرُنِي بِالبَيَاضِ

---

(1) الزجالي أبي يحيى ، أمثال العوام في الأندلس . تح : محمدية شريفة ، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية و التعليمة الاصلى ، د ط ، د ت ط ، ق: 1 ، ص : 219.

(2) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) ، أثار البلاد و أخبار العباد . بيروت ، دار صادر ، د ط ، د ت ط ، ص : 20.

(3) الإدريسي الشريف (أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ط ، 2002 ، ج : 1 ، ص : 44.

(4) شوقي عبد القوي عثمان ، المرجع السابق ، ص : 98.

و قال الشهاب البزاعي:

قَالُوا : بَمَن أَنتَ مَشغُولُ؟فَقُلتُ لَهُم بِمَن فُؤَادِي لَديهَا الدَهرُ مُرتَهنُ

عَلَقتُهَا مِن بَنَاتِ الحَبَــشِ فِي عَدنِ يَا حَبَذَا الحَبَشُ بَل يَاحَبَذَا عَدنُ

فَدَعمُهَا الحَالُ فِي كُلِ الجِهَاتِ فَمَا تَختَصُ جَارِيَةً إِذ كُلُهَا حُسنُ

تَقُومُ بِالبَيتِ فِي أَوقَاتِ حَاجَتِــهِ وَ لاَ يَمَسُ يَدَيهَا دَهَرً مَا دَرَن [1]

و منه يتضح انتشار الرقيق الأسود في المدن المغربية و الأندلسية ، و هذا ما توضحه الحياة الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و فضلا عن هذا كان لعناصر العبيد دور هام في نشر الإسلام و العروبة بين أهاليهم في النوبة و السودان و ذلك حين يقومون بزيارة أهاليهم[2].

– العبيـــد البيـــض :

و هم العبيد ذوي البشرة البيضاء من أشهرهم " الأتراك " و " الصقالبة " كـــان النـــاس يفضلون الصقالبة على الأتراك و هو ما نستنتجه من عبارة ذكرها الخوارزمي في كتاب " يتيمـــة الدهر " و يستخدم التركي عند غيبة الصقلبي ، أي أن التركي يستخدم في حالة فقـــدان نظـــيره الصقلبي ، و تعتبر مدينة " سمرقند " [3]واحدة من أهم المراكز التجارية إذ اشتهرت بإصدار أحسن العبيد من هذا النوع ، و قد تميزت الأمة التركية ببعض الصفات ، كالبياض و الجمال فلها عينان صغيرتان جذابتان و هي في الغالب بدينة أميل إلى القصر ، ولود ، كريمة ، لطيفة تجيد الطهي [4].

---

[1] السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر)، ازمار العروش في أخبار الجيوش ، تح : عبد الله محمد عيسى الغزالي ، الكويت ، منشورات المخطوطات و التراث و الوثائق ، ط:1 ، 1955 ، ص : 61.

[2] الغربي محمد ، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي . الكويت ، مؤسسة الخليج للطباعـــة و النشـــر ، د ط ، د ت ط ، ج:1 ، ص : 99.

[3] **سمر قند** : و هي في الإقليم الخامس ، و بعدها عن خط المغرب تسع و ثمانون درجة و عن خط الاستواء ست و ثلاثـــون درجة و هي من اجل البلدان و أعظمها و أشدها امتناعا و أكثرها رجالا و هي في نحو بلاد الترك ، ينظر : المنجم إسحاق بن حسين ، اكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، د .د .ن ، د . ت. ط ، ص : 21.

[4] أمين احمد ، المرجع السابق ، ص : 85.

الصقـــالبـــة:

أما الصقالبة فيرجع النسابة أصلهم إلى ولد مار بن يافث بن نوح و إليه يرجع سائر أجناس الصقالبة ، و هم أجناس كثيرة و أنواع واسعة[1] و كان لهذه الكلمة عدة تسميات فالمقصود بهـــا في الكتب العربية سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى التي تمتد أراضيها من بحر قـــزوين إلى البحر الادرياني[2] و كلمة الصقالبة هي جمع صقلبي بالاســـبانية " Esclavos " و بالانجليزيـــة " Slovs " التي تطلق على الشعوب السلاقية ، التي كانت بعض الشعوب الأوروبية تبيعهم عبيدا إلى الأندلسيين و هؤلاء توسعوا في استعمال هذه الكلمة[3].

و كلمة " صقالبة " نجدها أيضا في اللغة فرنسية " Esclave " و معناها " عبدا " و يقصد بهم العبيد المستجلبين من الشمال و أصلهم أسرى و سبايا[4] الجيوش الجرمانية في حروبهـــا مـــع السلاقيين ثم بعدها حملوا إلى الأندلس و بيعوا فيها ، و كان اغلب يؤتى بهم أطفال تتم تربيتـــهم و انشاءهم نشئة عسكرية ، كما يدربون على الخدمة في القصورو كان المستخدمون في القصـــور يتم خصائهم للقيام بخدمة الحريم و هو ما أشار إليه ابن حوقل في قوله : " الصقالبة الخصيان فمن جلب من الأندلس ، لأنهم عند قربهم يخصون و يفعل ذلك بهم تجار اليهود "[5].

و كان لليهود دور عظيم في تجارة العبيد و من العوامل التي ساعدتهم للقيام بهذا النشـــاط هو معرفتهم الجيدة باللغة العربية و الفارسية و الصقلية و الإفرنجية و الأندلسية ، و اللغة العربيـــة

---

(1) المسعودي (أبي الحسن بن الحسين بن علي) ، مروج الذهب و معادن الجوهر . مر : كمال حسن مرعـــي ، صـــيدا . بيروت ، المكتبة العصرية ، د ط ، 2005 ، ج : 1 ، ص : 25.

(2) ابن حوقل (أبي القاسم محمد التصبيي البغدادي) ، صورة الأرض . منشورات دار مكتبة الحياة ، د ط ، 1992 ، ص : 106.

(3) الشنتريني (أبي الحسن ابن بسام) ، الذخيرة في ذكر محاسن أهل الجزيرة . تح : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د ط ، 1975 ، ق : 3 ، مج : 1 ، ص : 16.

(4) **سَبيُ** : السَّبيُ و السِّبَاءُ : الأسر معروف ، سبي العدو غيره سبيا و سباء أذا أسره ، فهو سبي.
فالسَبيُ : النهب و اخذ الناس عبيدا و إماء ، و السَّبِيَةُ المرأة المنهوبة ينظر : ابن منظور ، ج : 7 ، ص : 119.

(5) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص : 106.

هي التي سمحت لهم بالربط بين أسواق المغرب و المشرق [1]، و قد ابتدع اليهود ظاهرة خصاء الصقالبة إذ يؤكد المقّري (ق 11 هـ / 17 م) بذلك و أن المسلمين أخذوها منهم في قوله: " و تخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الدين بأرضهم ، و في ثغر المسلمين المتصل بهم فيحمل خصياتهم من هناك إلى سائر البلاد ، و قد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخصون و يستحلون المثلة [2].

و يوضح لنا المقدسي (ق 4 هـ / 10 م) في كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " كيفية خصاء الصقالبة بقوله : " و أما الصقالبة فإنهم يحملون إلى مدينة بجاية أهلها يهود فيحضرهم و اختلفوا على هذا قال بعضهم يمسح القضيب و المزودان في مرة واحدة و قال بعضهم يشق المزودات و تخرج البيضتان ثم تجعل تحت القضيب خشبة أو يقطع من أصله " [3].

و رغم تحريم الإسلام لظاهرة الخصاء ، فقد استمر العمل بها خاصة للعبيد الذين يعملون في البيوت ، و كانوا يعتبرونهم مظهرا للثراء و يجعلونهم خدما للحريم و الحقيقة أن خصي العبيد اكبر جريمة [4]و قد أسندت للعبيد مختلف الأعمال ، فقد عمل الخصيان و الجواري أيضا خدما في المنازل ، و منهن من اتخذن للمتعة خاصة الصقلبيات ، كما عمل العبيد في الميدان الزراعي و باقي المهن المختلفة كالبناء و التجارة و الحدادة.

و خدم العبيد الصقالبة في القصور و كان منهم الفنانون في الرقص و الغناء و التمثيل ذكورا و إناثا ، تلبية لحاجة الترف و البذخ التي كانت سائدة آنذاك [5] بالإضافة إلى التركيات و الصقلبيات

---

[1] كواتي مسعود ، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين . الجزائر ، دار هومة ، ط : 2 ، 2009 ، ص : 124.

[2] المقّري التلمساني (احمد بن محمد) ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب . تح : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د ط ، 1908 ، ج : 1 ، ص : 145.

[3] المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . بيروت ، دار صادر ، ط : 2 ، 1906 ، ص: 222.

[4] موسى عايدة ، المرجع السابق ، ص : 25.

[5] جودت يوسف عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط ، د ت ط ، ص : 296

وجدت الروميات و الارمنيات و اليونانيات ، و عرف عن الرومانيات أنهن بيض شقر ، زرق العيون ، ذوات طاعة و خدمة و مناصحة و وفاء و محافظة و أمانة على عكس الارمنيات فالعفة فيهن قليلة أو مفقودة ، و فيهن غلظ طبع ، و ليست اللطافة في لغتهن ، و هن عبيد كد و خدمة ، و تميزوا ذكورا و إناثا في تحمل العناء و الأعمال الثقيلة [1].

و في الغالب كانوا يفضلون الجواري البيض و يقال عنهن " الصفر " أيضا لان بياض البشرة كان من الصفات المحمودة و من أقوال العرب المشهورة في مدح البيض : " إن أحسن النساء رقيقة البشرة نقية اللون ، يضرب لونها بالغداة إلى الحمرة و بالعشي إلى الصفرة " و هكذا صار هذا النوع من العبيد يقتنى للمتعة و إنجاب الولد ، لما تتمتع به من صفات جميلة ، و أصبحت بمثابة بضاعة نفيسة يحرس الناس على طلبها و شراءها بأثمان مرتفعة [2].

و من أشهرها جواري مدينة اودغشت[3] فقد أشار لذلك الحميري : " و حريم اودغشت لا يوجد مثله في بلد ، يجلب منها جواري بيض الألوان رشيقات القدود ، لطاف الحضور و ضخام الأرداف ، ضيقات الفروج [4].

و الخلاصة انه مثلما برز حضور العبيد السود في بلاد المغرب الإسلامي فان الملاحظة ذاتها تنطبق على العبيد البيض ، و قد تميز كل نوع بمجموعة من الصفات مكنته من الحضور في المجتمع المغربي و أداء دور مميز في مختلف جوانب الحياة.

---

[1] عينوز عبد العزيز و آخرون ، المرجع السابق ، ص : 61.

[2] حرمية الطبوبي ليلى ، المرجع السابق ، ص : 31.

[3] **أودغشت** : مدينة بين صحراء لماونة و السودان و هي بين جبلين ، و هي مدينة عظيمة لكنها صغيرة ، وفي صحرائها ماء قليل و ليس بها تجارة كبيرة و لأهلها جمال منها يعيشون ، ينظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص : 63.

[4] المصدر نفسه ، ص : 64.

المبحث الثاني : مصـــادر جلـــب العبيـــد

1 – الحـــــروب :

شكلت الحروب عاملا هاما في كثرة و وفرة أعداد كبيرة من العبيد ، حيـــث نـــرى أن الدولة العربية الإسلامية قد لجأت إلى ممارسة الشدة في تنفيذ القوانين العســـكرية و الاجتماعيـــة لإثبات وجودها و من خلال هذا وجدنا انه ليس هناك قوة قادرة على إقناع المشـــركين بتـــرك الشرك سوى الحرب و بالتالي هذا سبب كافي لوجود السبي و الأسر[1].

و كان " الأسير " هو العدو المأسور في الحرب ، و شعار الحرب يومئذ " ويل للمغلوب " فللغالب أن يستولي على ارض المغلوب و ينعم أمواله و يقتل أو ياسر ما يشاء من الأنفس و يسبي ما يشاء [2].

و يعتبر هؤلاء الأسرى من غنائم الحروب فهم ملك الملوك ، فإذا فاض عدد الأسرى عـــن حاجة الملوك باعوهم في أسواق النخاسة ، للاستفادة من ثمن بيعهم ، أما إذا قرر الملك الاحتفـــاظ بالأسرى ، فإنهم يستخدمون في أعمال كثيرة مثل : الخدمة في الجيش أو الاشتغال بشق الطـــرق و إنشاء الأبنية و العمل في الأرض ، و باعتبارهم عبيد قد يقوم الملك بإهدائهم إلى المقربين منـــه و لا سيما بعد انتهاء الحرب أو الغزو و إحصاء الأسرى فقد يختار الملك لنفسه أجمـــل و أحســـن الأسيرات[3].

و الأسرى لدى الشعوب القديمة كالرومان كانوا يلقون أسوأ عهودهم حيـــث اســـتخفوا بأرواحهم فكانت إماتتهم تسلية للرومان إذ كانوا يدفعونهم لمنازلة الحيوانات المفترسة كالأسود أو مجالدة القرناء بالسيوف ، و قد أضافوا الأسرى إلى المحكومين بالإعدام لأن القانون الروماني كان يقضي بتجريد من حكم عليه بالإعدام من حريته[4]، أما الإسلام فكان موقفه واضـــحا مســـالة

---

(1) قدورة الشامي فاطمة ، المرجع السابق ، ص : 41.

(2) الترمانيني عبد السلام ، المرجع السابق ، ص : 39.

(3) علي جواد ، المرجع السابق ، ص : 262.

(4) الترمانيني عبد السلام ، المرجع السابق ، ص : 41.

أسرى الحروب إذ تميز بين الأسرى العرب و غير العرب ، و يرتبط هذا التمثيل بغاية الإسلام و هي توحيد الفكر الديني و جمع الناس في عقيدة واحدة.

ففي الحروب و الغزوات التي قامت بين النبي صلى الله عليه و سلم و بين مشركي العرب ، كان لا يقبل ممن يقع من المشركين في اسر المسلمين إلا الإسلام أو القتل [1]، و في القتل نهى الإسلام عن قتل المرأة و الصبي و العاجز و المريض و الشيخ الهرم ، فإذا أوضعت الحرب أوزارها و فتح الله على المسلمين كان لإمام أن يأخذ الرجال القادرين على القتال و أن يسبي النساء اللاتي يلدن[2]، و كان مصير أسرى الحروب في معظمهم يؤول إلى الموت أو الاستعباد [3].

و خلاصة القول أن السبي كان موجودا في العصور القديمة حيث عرفته بلاد فارس و بيزنطة كما عرفت القبائل العربية قبل الإسلام ، و تحدثت الروايات عن عمليات سبي وافقت سرايا و غزوات الرسول صلى الله عليه و سلم ، و كان الأسرى في الغالب القتل أو الاستعباد ونستنتج أن عمليات السبي تركت أثارا على مختلف الأوجه السياسية و الاقتصادية و الفكرية و الثقافية [4].

2 – الجريمة :

ورد في القوانين القديمة أن بعض الجرائم العامة و الخاصة تؤدي إلى استعباد الأشخاص ففي الجرائم الخاصة كان التحقير و الإهانة من أسباب الاستعباد فكان من أدين بتحقير شخص أو إهانته أصبح عبدا له[5] و قد انتشرت في مجتمعات الإغريق و الرومان و عرب الجاهلية و تشير المصادر إلى استرقاق السارق في المجتمعات السودانية ، فالذي تعرض للسرقة بإمكانه بيع سارقه إذا

---

(1) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص : 469.

(2) الترمانيني عبد السلام ، لمرجع السابق ، ص : 42.

(3) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 130.

(4) شادي إبراهيم عبد القادر ، السبي في صدر الإسلام (مذكرة ليسانس) . فلسطين ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، 2010 ، ص : 78.

(5) الترمانيني عبد السلام ، المرجع السابق ، ص : 47.

قبض عليه ، و يصبح المجرمون أرقاء [1] ، و يذكر صاحب الاستبصار : " و حكم أهل هذه البلاد و المذكور قبلها من بلاد السودان أن يخير صاحب السرقة في بيع السارق أو قتله " [2].

أما بخصوص جريمة مغتصب الأمة يقول ابن أبي يزيد : " من غصب امة ثم وطئها فولده رقيق و عليه الحد ، و الغريب أن جزاء الغاصب هو إقامة الحد عليه ، و جزاء حامل الغصب أي ولده هو الاسترقاق [3]، و قد عمل الإسلام على حصر مصادر العبيد و تضييقها و إبطال مشروعية أي مصدر آخر للعبيد مما كان وقتئذ كاستعباد الأشخاص الذين عليهم دين أو الفقراء فقد جعل الإسلام للفقير و المدين المعسر حقا في بيت المال [4]و في ذلك قال الله تعالى :

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [5].

و قد أمر الإسلام بإمهال المدين حتى يزول عسره ، و حبب للدائن أن يترل عن دينه و يتصدق به على مدينه ، و إذا كان في أدائه إرهاقا له. و في ذلك

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ [6].

كذلك لا يجيز الإسلام الاستعباد بسبب الجريمة ، و أمرنا أن ننفد في المجرم الحدود و هذه الجرائم هي السرقة و السلب و الزنا و شرب الخمر و القذف [7].

---

(1) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 170.

(2) مؤلف مجهول ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار . تح : سعد زغلول عبد الحميد ، العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، د ط ، د ت ط ، ص : 218.

(3) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 171.

(4) الترمانيني عبد السلام ، الرجع السابق ، ص : 49.

(5) سورة التوبة ، الآية 60.

(6) سورة البقرة ، الآية 280.

(7) الترمانيني عبد السلام ، المرجع السابق ، ص ص :49 - 50 .

3 – الخـــطـــــف :

لم تعد الحروب المصدر الأساسي للعبيد ، بل نشا إلى جانبها مصدرا آخر لا يقـــل عنـــها خطرا ، فقد تشكلت عصابات في البر و البحر للإغارة على الجماعات الآمنة أو الضعيفة و ســـبي النساء و الأولاد و بيعهم في أسواق النخاسة ، ففي فترة حكم غانة وجدت سوق رائجة لتجـــارة العبيد الذين كانوا يجلبون عن طريق القنص من الحدود الجنوبية لغانة [1] ، و كان العبد يباع أحيانا بكمية من الملح تعادل قدر حجم قدمه ، و لما كثر وصول الملح إلى بلاد السودان صار ثمن العبد و الأمة هو حمل جمل من الملح [2].

و كان القراصنة يغيرون على البلاد الأخرى ، و يعترضون سفنها ، و يأســـرون الرجـــال و يسبون النساء و يسوقونهم إلى مرافئ بلادهم و يقومون بيعهم إلى التجار و إلى جانب القرصنة البحرية كانت هناك غارات برية ، و كان ضحايا هذه الغارات جماعات ضعيفة لا تقوى علـــى صدها [3]، و يذكر ابن خلدون أن القبائل المسلمة كانت تغير على القبائل الوثنية التي تقطن فيما وراء خراسان و النهرين ، و كان يتبع رقيقهم في خراسان و الهند و العراق [4].

و كان أهل البلاد لا يطمئنون إلى من جاورهم بل كان كل واحد منهم يأخذ حذره قدر جهده ، و أهل المدن الذين يجاورونهم من أجناسهم يسرقون أبناء القوم الرحالة الـــذين يعمـــرون الصحاري و يسيرون بهم في الليل و يأتون بهم إلى بلادهم حينا من الدهر ثم يبيعونهم لتجار إليهم بالبخس من الثمن ، و يباع منهم في كل سنة أمم و أعداد لا تحصى و ذكر الإدريسي في حديثـــه

---

[1] **غانة** : من أقدم الإمبراطوريات غرب إفريقيا التي قامت في السودان الغربي و قام بتأسيسها جماعة من البيض حوالي القرن الأول ميلادي ، و اشتهرت باسم غانا Ghana أو غاناتا Ghanata و من المرجح أن كلمة غانا كانت أصلا لقبا يلقـــب به ملوك هذه الإمبراطورية ثم اتسع بعد ذلك مدلول هذا اللفظ حتى صار يطلق على العاصمة ، ينظر : فيج – جـــي – دي ، تاريخ غرب إفريقيا . تح : السيد يوسف ، القاهرة ، دار المعارف ، ط : 1 ، 1982 ، ص : 16.

[2] شوقي عبد القوي عثمان ، المرجع السابق ، ص : 93.

[3] الترمانيني عبد السلام ، المرجع السابق ، ص : 50 .

[4] ابن خلدون عبد الرحمان ، مقدمة ابن خلدون . لبنان . دار الكتب العلمية ، ط :9 ، 2006 ، ص : 122.

أيضا الحبشة قائلا : و يسرق بعضهم أبناء بعض و يبيعونهم من التجار فيخرجونهم إلى أرض مصر في البر و البحر [1] .

و كان البعض يقومون بخطف الأطفال بعد مراقبتهم عند خروجهم للعب ، فيفاجئونهم و يكممون أفواههم لمنعهم من الصراخ ثم يقومون بنقلهم إلى أماكن بعيدة و كانوا يلقون التين و الزبيب و الحبوب أمام القرى فيأتي الأطفال لأخذها و عندئذ يقومون بالقبض عليهم و يبيعونهم إلى التجار [2].

4 – الفقـــر:

يعتبر الفقر أيضا واحدا من أسباب الاستعباد المعروفة ، فمنذ أن عرف الإنسان الملكية انقسم المجتمع إلى ملاك كبار ازدادوا ثراء ، فكونوا طبقة من الأغنياء ، و ملاك صغار كان العديد منهم عرضة لفقدان أراضيهم بسبب الكوارث الطبيعية كالفيضانات و الجفاف ... الخ، أو الخراب الناتج عن الحروب مما كان يودي إلى افتقارهم و عجزهم عن تلبية حاجاتهم ، هذا ما أدى بهم إلى بيع أنفسهم و أولادهم [3].

و هذه الظاهرة شاعت في المجتمعات القديمة ، و استمرت حتى في أوربا ، و انتشرت أيضا في البلاد السودانية الوسيطية استعباد العاجز عن الوفاء بديونه ، أما الإسلام فلم يجز استعباد المدين و شجع الدائن على الرفق بالمدين [4]، و نشا عن الفقر الشديد بيع الأنفس ، و الأولاد ، فلقد أجازت القوانين القديمة أن يبيع الإنسان نفسه أو يبيع ولده ، فيسترقه من يشتريه و يجعله عبدا و كان هذا الأمر منتشرا بين عدة قبائل في القديم[5] و هذا قد شكل عنصرا هاما في تجارة العبيد.

---

[1] الإدريسي ، المصدر السابق ، ج :1 ، ص ص : 46-47.

[2] شوقي عبد القوى عثمان ، المرجع السابق ، ص : 98.

[3] بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 40.

[4] بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 171.

[5] الترمانيني عبد السلام ، المرجع السابق ، ص : 45.

حيث كان التجار يجوبون بلاد ما وراء النهر و حول بحر الخزر [1] المعروف ببحر قـــزوين و يشترون الأولاد و النساء و يقومون بتحضيرهم و تنشئتهم ثم يبيعونهم في البلدان بأثمان عاليـــة لبياضهم و حسنهم [2]، و لما كان بيع النفس وجها من وجوه الرِّق ، فان اليهود و النصارى تدين بتحريم استعباد بعضهم بعضا مثل المسلمين و مع ذلك فان الفقر المتحكم في بعض الشعوب مازال من عوامل بيع النفس و الأولاد [3].

و كان للمجاعات التي ضربت البلاد اثر في بيع الأنفس حيث يذكر ابن عذارى مثالا على ذلك فقال : " ولي قضاء مدينة رقادة محمد بن عبد الله المعروف بابن جيحال ، كان مولى لـــبني أمية و لم يكن عنده علم ولا ورع ، و كانت فيه غفلة شديدة و ضعف ، قيل انه بـــاع نفســـه في حداثته من أيام الشدة ، ثم اثبت بعد ذلك حريته و انطلق [4].

و قد عانت نواحي مراكش و دكالة من مجاعة أصابت المغرب حتى هاجر العرب الساكنين عن طواعية إلى البرتغال يعرضون أنفسهم كعبيد لمن يعولهم [5].

يكشف استعراضنا لمصادر جلب العبيد ، بان الاستعباد ظاهرة اجتماعيـــة قامـــت علـــى استغلال الإنسان القوي للإنسان الضعيف.

فانتشار ظاهرة الخطف و السرقة في المجتمعات و اسر الرجال و سبوا النساء و الأطفـــال و باعوهم في مختلف الأسواق ، و ساد الفقر فاضطر الذين استحكم فيهم الفقر إلى بيع أنفســـهم و أولادهم و مثلهم المدينون الذين لم يستطيعوا أن يوفوا ديونهم ن و ظهرت بعض القوانين الـــتي تنص على استعباد مرتكبي الجريمة ، فيصبح عبدا عقابا له ، على عكس ما نصت به الشريعة فقـــد أمرت بإقامة الحد على من ارتكب الجرائم.

---

(1) **بحر الخزر** : إن شرقية بغض الديلم و طبرستان و غربية أداة و حدود السرير و بلاد الخزر و جنوبيـــة الـــديلم ، ينظـــر : الاصطخري ، المصدر السابق ، ص : 89.

(2) المصدر نفسه ، ص : 91.

(3) الترمانيني عبد السلام ، المرجع السابق ، ص : 46 .

(4) المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب . تح : ج . س كولان و ليفي بروفنسال ، لبنـــان ، دار الثقافة ، ط : 3 ، 1983 ، ج : 1 ، ص : 140.

(5) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 174.

و بتعدد هذه المصادر تعددت طوائف العبيد و شكلوا أداة للعمل فاستغلوا في بناء المعابـــد و تشييد القصور و شق الطرقات و العمل في المناجم و ما شابه ذلك من الأعمال الشاقة.

المبحث الثالث : النشـــاط الاقتصـــادي و الاجتمـــاعي للعبيـــد

1 – النشاط الاقتصادي للعبيد :

اشتغل العبيد في مختلف المجالات ، ففي المجال الزراعة كانوا يقومون بنثر البذور في الأرض ثم يبحرثونها و أخيرا يقومون بحصاد محاصيلها ، و كان العمل في مثل هذا المجال يتطلـــب جهـــدا كبيرا فرضته الحاجة إليه في أوقات معينة من السنة ، و لم يكن توظيفا دائمـــا ، و كـــانوا أيضـــا يهتمون بتربية الحيوانات ، حيث عملوا في مجال تربية الماشي و ما يتعلق بها من رعـــي و علـــف و عناية[1].

فكانت الأغنام التي يقومون بتربيتها تعتبر المصدر الأساسي للصوف حيث اشتغل العبيـــد ذكورا و إناثا في صناعة الملابس الصوفية و النسيج ، و عمل الإماء في مجال النسيج كان محـــدودا لأنه يعود إلى جماعة محدودة لا تتعدى الأسرة الواحدة ، و كن أيضا يعملن في الغزل بالإضافة إلى أعمال أخرى ، و اشتغل العبيد أيضا في البناء ، و يبدوا أن استعمالهم في عمليات البناء و العمارة كانت منتشرة في البلاد الإسلامية شرقها و غربها[2].

و عملوا في المناجم خاصة مناجم الملح ، و حيث كانوا يعيشون في تلك المناجم أو صناعا أسوأ من غيرهم لأنهم يعملون بها طول النهار[3] ، و قد اشـــتغل العبيـــد في الـــبلاد الإســـلامية في التجارة و هذا في الغالب راجع إلى العلاقات التجارية التي كانت بين الدول ، حيـــث كـــانوا يعتبرون أمناء أسرار أسيادهم فقد كان الكثير من التجار يعهدون بتجارتهم لعبيـــدهم ، و هكـــذا عرف العبد المشتغل بالتجارة في الكتب بـــ " العبد التاجر " ، و اعتبر الخـــادم أداة ، و كانـــت وسيلة المستغل في تملك المنتج هي العنف المادي الذي يمارسه عليه بهدف تحصيل فـــائض الإنتـــاج و من تجليات ذلك تصرفه معه كالحيوان يمارس عمله تحت الإكراه [4].

---

(1) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 345.

(2) المرجع نفسه ، ص ،ص : 353 – 355.

(3) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 144.

(4) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 361.

و كان العبيد يستخدمون إلى جانب الدواب في نقل السلع و أمتعة سادتهم التجار إن كانوا لا يملكون دابة ، أو في المسالك التي لا تستطيع الدواب التنقل فيها لوعورتها أو ضيق الأزقة و إلتواءاتها ، و كان معدل ما يحمله العبد العادي فوق رأسه حوالي ثلث قنطار من الأمتعة إضافة إلى زاد المسافر الخاص بالمولى و الحرس ، و كان هؤلاء العبيد إذا نبغ بعضهم في عمله و حالفه الحظ يبلغ بعض المراتب الرفيعة و هذا كتحفيز للمجهود الذي قام به [1]، و كان يطلق على العبيد الذين امتلكتهم الدولة عبيد عام لأنهم اشتغلوا في المؤسسات العامة : كالحراسة و التنظيف [2].

و في الأخير نستنتج أن العبيد لم يكن لهم دور يذكر على صعيد الإنتاج بل انحصرت مهمتهم في الخدمة المترلية فقط ، هذا يعني أنهم عاشوا منعزلين في المنازل ، فالذكور كانوا يقومون بأعمال الحراسة في القصور و أيضا حراسة سادتهم ، أما فيما يخص الجواري فكن يقمن بتربية الأطفال و رضاعتهم و كل ما يتعلق بشؤون المطبخ و أيضا جلب المياه ، و كانت فئة منهن يخصصن عادة للمتعة لدى الأمراء.

---

[1] بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 143.

[2] بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 361.

2 – النشاط الاجتماعي للعبيد :

كان لفئة العبيد دور هام في المجتمع المغربي، و تضافرت بعض العوامل التي ساهمت في تكاثر أعدادهم من خطف و سبي و كذا الحروب التي دارت رحاها بين زعماء الكيانات ، و في كل الأحوال استرق المهزوم و سخر في العمل اليدوي[1].

فرغم حرص الإسلام على حث الناس على ضرورة حسن معاملة العبيد ، فنجد النبي صلى الله عليه و سلم يوصينا بالرفق بالعبيد في قوله : " اتقوا الله بالضعيفين المملوك و المرأة " ، و يعود النبي صلى الله عليه وسلم ليذكر عباد الله في آخر كلمات له و هو على فراش الموت :" اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون و اكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فان أحببتم فامسكوا أو ما كرهتم فبيعوا ، و لا تعذبوا خلق الله إن الله ملككم إياهم و لو شاء لملكهم إياكم "[2].

و لكن من خلال ما وجدناه من روايات عن الوضع المعيشي للعبيد كان عكس ما أوصانا به الله و نبيه تماما ، و يبدوا أن العبيد السود كانوا أكثر اضطهادا من العبيد البيض نوعا ما[3]، و مع ازدهار أحوال المدن و تطورها ، عمّ الرخاء بفضل ما اكتسبوه من الأموال فكثر العبيد و تم اتخاذ الجواري و الإماء في الخدمات الاجتماعية[4].

وبهذا برز دور العبيد المتميز ، فقد استخدموا في الأعمال اليدوية ، كما قاموا بالخدمة في القصور ، و حالهم لم تكن سيئة على العموم لاسيما في قصور الأمراء و الملوك ، إذ كانوا يتمتعون بمستوى حياة جيد ، و لكن لم يحظ جميع العبيد بنفس المعاملة [5].

---

(1) بو تشيش إبراهيم القادري ، المرجع السابق ، ص : 152.

(2) قدورة الشامي فاطمة ، المرجع السابق ، ص : 60.

(3) بو تشيش إبراهيم القادري ، المرجع السابق ، ص : 153.

(4) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي " تاريخ دولة الاغالبة و الرستميين و بني مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين" . مصر ، منشأ المعارف جلال حزي ، د ط ، د ت ط ، ج : 2 ، ص : 342.

(5) دندش عصمت عبد اللطيف ، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني . بيروت ، دار الغرب الإسلامية ، ط : 1، 1988 ، ص : 285.

و يمكن التمييز في خدمات العبيد بين خدمات متزلية كالطبخ و العجين و تربيـــة الأبنـــاء و أعمال أخرى خارج البيت و هي أعمال تقاسمها ذكور العبيد و إناثه على حد سواء [1].

و نصت وثيقة هامة على أمور الخدمة المتزلية و حددتها في الأعمال التالية خدمة البيت مـــن العجين و الطبخ و الخبز و الكنس ، و عمل السرير و استقاء الماء و غسل الثياب و الغزل و غـــير ذلك من الأمور و الترف داخله و خارجه.

و ذكر أنه يمكن أن يكثر المرأة لخدمة البيت من الطبخ و الخبز و الغسل [2].

و بالإضافة إلى الأعمال المتزلية وجدت جاريات للقيام بتربية الأطفال و إرضاع المواليـــد الجدد ، و تدبير شؤونهم ، و احتلت الأمة المرضعة مكانة هامة في المجتمع خاصة لـــدى الفئـــات الميسورة ، ذلك أن عدم إمكانية تقديم لبن الحيوان إلى الأطفال الرضع و صغار السن ، يدفع ذلك إلى الاستعانة بالمرضعة و هو ما كان له اثر في تسريع وتيرة الإنجاب خاصة لدى الأسر التي توفرت لها الإمكانيات المادية [3].

و اشتهرت جواري مدينة أودغشت السودانيات بكونهن طباخات ، محسنات تباع الواحدة منهن بمائة مثقال و أكثر ، تحسن عمل الأطعمة الطبية من الجوزيتقات ، و القطايف ، و أصـــناف الحلويات و غير ذلك و بها جوار حسان الوجوه بيض الألوان [4].

و إلى جانب تجهيز الطعام تولى العبيد سقاية الماء ، فقد أرسل احدهم بعـــض مواليـــه أو خدمه فاتاه بالماء و لم يرتبط الأمر بالمدينة وحدها و إنما شاع في البادية المغربية أيضا فقـــد كـــان خدم جبل نفوسه يخرجن للاستسقاء [5].

---

(1) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 375.

(2) المراكشي (عبد الواحد بن علي) ، وثائق المرابطين و الموحدين ، تح : حسين مؤنس ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينيـــة ، ط: 1 ، 1997 ، ص : 495.

(3) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 376.

(4) البكري ، المصدر السابق ، ص : 158.

(5) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 377.

و اشتغلت الإماء بالنسيج في البيوت ، و كن يقمن بهذا العمل بطريقة جماعية ، كما تولى العبيد مهمة خدمة الدواب و القيام بشؤونها من علف و رعاية ، فيمكن أن يستأجر العبد لخدمة دوابه و لاختلاف بها إلى بواديه و السفر معه إلى مواضع معروفة [1]، إلى جانب جمع الحطب قصد التدفئة و الطبخ و تولت الإماء في المجتمع المغربي مهام أخرى تدخل ضمن رعاية الأسرة خلال تعرض احد أفرادها للمرض ، كما تولى الخدم فتح باب المترل و استقبال الزوار و المناداة على صاحب المترل [2].

و قد أشارت الأمثال الشعبية إلى كثرة أعدادهم داخل البيوت و قد كان اتخاذ العبيد للخدمة من إشارات الأثرياء أو من يحاكيهم كما في المثل: " البخل المسمر ، و العبد المشمر " [3].

ومن خلال بعض الأمثال الشعبية يتضح أنهم كانوا يفضلون الأسود على الأبيض إما لصبره و تحمله و طاعته و إخلاصه و في ذلك يقول : ظل ما تجد اسود لا تسخر ابيض.

و كان العبد لا يعرف طعم الراحة ، فإذا انتهى من عمل كلف بعمل آخر و هذا ما يدل عليه المثل : " أطلق الفأس خذ المصحا " . وقد حرم العبيد من ابسط الحقوق الاجتماعية كالعزاء أو نحوه ، فإذا فعلت عدَّ ذلك منها فضولا و لقبت سوء الجزاء [4].

و يذكر أن بعض الجواري يتمتعن بموهبة الغناء ، فكان يقتني جاريات تغني في الأعراس و غير ذلك من المناسبات الأسرية السعيدة مقابل اجر معلوم ، و لا يجوز لمولاها أن ينتفع باجرها و كان عليه أن يتصدق بهذا المال إذا ما توفيت [5].

---

(1) المراكشي عبد الواحد ، المصدر السابق ، ص : 495.

(2) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 378.

(3) الزجالي أبي يحى ، المصدر السابق ، ص : 218.

(4) المرجع نفسه ، ص ص : 218 - 219.

(5) السيد أبو مصطفى كمال ، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوى المعيار المعرب للونشريسي . القاهرة ، مركز الإسكندرية للكتاب ، د ط ، د ت ط ، ص : 36.

و فضلا عن اشتغالهم بالغناء و الرقص فإنهم تركوا أثرا بالغا في الحياة الأدبية [1] فوجدت جواري الخلفاء و الوزراء ، و الأشراف و كبار القواد و كانوا يعملون في القصور و البيوتات يلهبن ساداتهن في مجالس انسهم ، و نجد منهم من عمل في الأدبرة و الحانات [2].

كما كانت لهم مهام أخرى خارج المترل ، كذهابهم إلى الأسواق ، وقد أشار المقري إلى هذا في حديثه عن الحسبة في قوله : أن يرسل المبتاع الصبي الصغير أو الجارية الرعناء ، فيستويان فيما يأتيانه به من السوق [3]. و هذا دليل على أن العبيد كانوا يترددون على السواق لجلب حاجات البيت.

كما أنهم استغلوا في الحمامات و كان الخادم يتولى تنظيف جسم المستحم من غير أن يباشر هو من أمور نفسه شيئا [4].

و الخلاصة أن فئة العبيد قامت بدور كان أكثر وضوحا في الحياة الاجتماعية ، فقد تخصص كثير منهم في تربية الأبناء بالإضافة إلى القيام بشؤون الطبخ و الكنس و التنظيف و بالتالي فان حضور العبيد كان فعليا و فاعلا تعبر عنه طبيعة هذه الخدمات.

---

(1) شوقي عبد القوى عثمان ، المرجع السابق ، ص : 99.

(2) حرمية الطيوبي ليلى ، المرجع السابق ، ص : 63.

(3) المقري ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 218.

(4) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 382.

و في الأخير نستنتج أن العبيد قد فقدوا حريتهم و أصبحوا ملكا للغير حيث كانوا يباعون في أسواق النخاسة في معظم المدن ، و من خلال قراءتنا للمصادر وجدنا أن ابرز نوعين من العبيد هم ، العبيد السود و العبيد البيض فلسود كانوا يجلبون من بلاد السودان ، و قد عرف عنهم صبرهم و قوة تحملهم أعباء الحرب و الغزوات أما البيض كانوا يجلبون من بلاد الروم و الترك و من أشهرهم الصقالبة ، أما فيما يخص دراستنا لمصادر جلب العبيد توصلنا إلى أن أهم مصدر هو الحرب حيث كانت السبب المباشر و الأساسي لكثرة العبيد و وفرتهم ، فكان الأسرى يعتبرون من الغنائم في الحروب فهم ملك للملوك و كان مصيرهم في غالب الظن إما القتل أو الاستعباد و كانت عمليات السبي قد تركت آثارا على مختلف الأوجه السياسية و الاقتصادية ... بالإضافة إلى مصادر أخرى كالخطف و الجريمة و الفقر.

كما أننا لاحظنا أن العبيد لم يكن لهم دور يذكر على صعيد الإنتاج بل انحصرت مهمتهم في الخدمة المترلية فقط ، هذا يعني أنهم عاشوا منعزلين في المنازل فالذكور كانوا يقومون بأعمال الحراسة في القصور ، أما فيما يخص الجواري فكن يقمن بتربية الأطفال و كل ما يتعلق بشؤون الطبخ و صنع الحلويات و جلب المياه و كانت فئة منهن يخصصن عادة للمتعة.

الفصـــل الثـــاني : العبيـــد في بـــلاد المغـــرب الأوســـط

المبحـــث الأول : العبيـــد في الدولـــة الرستميـــة

1- العبيـــد في المجتمـــع الرستـــمي
2- تجـــارة العبيـــد في أســـواق تيهـــرت
3- دور العبيـــد في الحيـــاة السياسيـــة

المبحـــث الثـــاني : العبيـــد في الدولـــة الحماديـــة

1- المجتمـــع الحمـــادي
2- مجـــالات تواجـــد العبيـــد في المجتمـــع الحمـــادي

المبحـــث الثـــالث : العبيـــد في المغـــرب المرابـــطي

1- مصـــادر العبيـــد خـــلال عصـــر المرابطيـــن
2- ظـــروف تواجـــد العبيـــد في العصـــر المرابطـــي
3- معاملـــة العبيـــد في العصـــر المرابطـــي

المبحـــث الرابـــع : العبيـــد في المغـــرب الموحـــدي

1- المجتمـــع الموحـــدي
2- مصـــادر العبيـــد عنـــد الموحديـــن
3- العبيـــد في الجيـــش الموحـــدي

المبحث الأول : العبيـــد في الدولـــة الرستميـــة

1 – العبيد في المجتمع الرستمي :

لقد سكنت مدينة تيهرت[1] عناصر مختلفة من عدة قبائل بربرية منها زناتة[2] و ســـدراته و هوارة و نفوسة الجبل[3] ، كما وجد بها قوم من القيروان و الكوفة و فاس و غيرها و اجتمعت فيها مختلف المذاهب و الديانات ، و لم يقتصر المجتمع على هذا الاختلاف المذهبي فقط بل تعداه إلى اختلاف في نمط المعيشة أيضا.

و كانت الطبقات الاجتماعية متفاوتة فيما بينها حيث أصبحت الطبقة الوسطى تـــداين الطبقة العليا و لا تفصلها عنها إلا درجات[4]، و في خضم هذه الطبقات ظهرت فئـــة اجتماعيـــة حاولت أن تعيش كغيرها من الفئات ، و هي طبقة العبيد و الخدم التي عرفتها مختلف المدن العربية و الإسلامية، و نتطرق للحديث عن هذه الطبقة في أولى الدول المستقلة ببلاد المغـــرب الأوســـط و هي الدولة الرستمية.

فكان المجتمع الرستمي يتكون من عدة طبقات منها : طبقة الأغنياء و الأثريـــاء و الطبقـــة المتوسطة من الحرفيين و المزارعين و طبقة العبيد و الخدم [5] و يشير ابن الصغير المـــالكي (ق3 ه) و أبو زكرياء الوارجلاني (ق 5ه) و إلى وجود فئة العبيد بشكل واضح في الدولة الرستمية حـــين

---

(1) **تاهرت** : بفتح الهاء و سكون الراء و تاء فوقها نقطتان، اسم لمدينة متقابلتين بأقصى المغرب ، يقال لإحـــداهما تـــاهرت القديمة و الأخرى تاهرت المحدثة ، ينظر : الحموي ياقوت ، المصدر السابق ، مج : 2 ، ص : 7.

(2) **زناتة** : و مواطنهم في سائر مواطن البربر بافريقية و المغرب ، فمنهم بلاد النخيل ما بين غـــدامس و الســـوس الأقصـــى و الأكثر منهم بالمغرب الأوسط ، ينظر : ابن خلدون (عبد الرحمان) ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجـــم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . إ ع : عادل بن سعد ، لبنان ، دار الكتب العلميـــة ، ط : 1 ، 2010 ، ج:7 ، ص : 3.

(3) **نفوسة** : نفوس هم بطن واحد تنسب إليه نفوسة كلها ، و كانوا من أوسع قبائل البربر فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور وبني مكسور و مواطنهم بجهات طرابلس و ما إليها و هناك الجبل المعروف بهم ، ينظـــر : المصـــدر نفســـه ، ج: 6 ، ص : 134.

(4) الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي . مر : أبـــو القاســـم ســـعد الله و ناصر الدين سعيدوني ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط : 1 ، 2003 ، ص : 138.

(5) عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر . الجزائر ، دار ريحانة للنشر و التوزيع ، ط :1 ،2002 ، ص : 47.

قدم الوفد إلى دار الإمام عبد الرحمان ابن رستم [1]فاخذوا يسالون عن داره ، حتى و قفوا عند بابه و غلاما يعجن طينا ، و رجلا على السطح يصلح شقاقا فيه و العبد يناوله ما يصلح به فقاموا بإلقاء التحية على الغلام فرد السلام ، ثم قالوا له هذه دار الإمام ؟ فقال نعم ، فقالوا له استأذن لنا منه و اعلمه أننا رسل إخوانه إليه من البصرة فكان الإمام عبد الرحمان قد سمع كل حديثهم [2].

فنزل الإمام عبد الرحمان ابن رستم عن السطح و غسل الطين ، فأذن لهم فدخلوا فسلموا و رد عليهم ، و فتت لهم خبرا ، و عصر عليه عكة [3]، و بالتالي نستنتج من هذا القول أن الإمام عبد الرحمان كان لديه عبيد يعتمد عليهم و أيضا الصفات التي كان يتمتع بها من تواضع و تسامح و بساطة ، لقوله تعالى:﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [4].

و ذكر أيضا أبو زكريا الورجلاني ان الإمام عبد الوهاب [5]كان يمتلك عددا من العبيد حيث قال : " أن الإمام عبد الوهاب لما سمع بخروج وفد من جبل نفوسة و إقبالهم إليه قرب عبيدة منه و كلمهم ، و قال لهم : " من بشرني منكم بقدوم أهل نفوسة فهو حر ".

---

[1] **عبد الرحمان بن رستم " 144 – 168 هـ / 761 – 784 م "** : ولي بتاهرت على راش سنتين و مائة و ذكر بعضهم انه ولي سنة اثنين و ستين و مائة ، و سبب ولايته أن جماعة من أهل الدعوة قاموا بانتخابه ليكون إمام ، ينظر : الدرجيني (أبي العباس احمد بن سعيد) ، طبقات المشائخ بالمغرب . تح : إبراهيم طلاىّ ، جميع الحقوق محفوظة ، د ط ، د ت ط ، ج: 1 ، ص ص : 40 - 41.

[2] المالكي ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين . نح : محمد ناصر إبراهيم بحاز ، لبنان ، دار الغرب الإسلامية ، د ط ، 1986 ، ص : 33.

[3] الشماخي (أبو العباس احمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد) ، السِّيَر . تح : محمد حسن ، لبنان ، دار المدار الإسلامي ، ط:1، 2009 ، ج : 2 ، ص : 266.

[4] سورة يوسف ، الآية : 80.

[5] **عبد الوهاب بن عبد الرحمان " 168 – 188 هـ / 784 – 803 م "** : هو الإمام الثاني لسلالته الرستمية في تاهرت ، و حارب بنجاح ضد الاغالبة ، و اشتهر بالدهاء السياسي و الحزم ، و أول الأعمال السياسية التي قام بها هي ربط الصلة مع أمير القيروان روح بن حاتم . ينظر : ليفنتسكي تاديوس ، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية . تر : ماهر جرار و ريما جرار ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط : 1 ، 2000 ، ص : 40. و ينظر : الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام . الجزائر ، دار الأمة للنشر ، د ط ، 2010 ، ج : 1 ، ص : 228.

فكان العبيد كل يوم يخرجون عند طلوع الشمس من المدينة ، ينظرون يمينا و شمالا و كان لديه عبد أعرج لا يستطيع النهوض مع جملة العبيد ، فعمد إلى السور بالمدينة و لزمه ينتظر قدوم الوفد [1]، و ذات يوم رأت العبيد الوفد قادم فاقبلوا و تسابقوا إلى الإمام ليخبروه بقدومهم ، فنظر إليهم العبد الأعرج بعيدا فقام و صاح إلى الإمام و اخبره بهم ، فخرج هذا العبد حرا [2].

و الواضح من هذا القول هنا الطريقة البسيطة التي كان يتعامل بها الإمام عبد الوهاب مع عبيده حيث أمرهم بمراقبة قدوم الوفد إليه و إخباره و مقابل ذلك يصيرن أحرار.

أما عهد افلح بن عبد الوهاب يعتبر أزهى فترات الدولة الرستمية حيث يشير إلى ذلك ابن الصغير بقوله : " و كان افلح قد عمر في إمارته مالم يعمر احد من قبله فأقام خمسين عاما حتى نشأ له البنون و بنو البنين ، حيث ابتنى القصور ، و عمرت معه الدنيا و كثرت الأموال و المستغلات ، و كان العبيد في عهدة يزداد عددهم بازدياد رخاء تاهرت و ازدهارها " [3] و يذكر أيضا أن القبائل التي كانت منتشرة حول مدينة تاهرت لما اكتسبت الأموال و اتخذت العبيد و الخيول قد نالها من الكبر ما نال أهل المدينة [4].

و كان للإمام أبو اليقظان عدد من العبيد في منزله ، و قد أشار إلى ذلك ابن الصغير حيث قال : " كان هنالك رجلا يكنى بأبي سابق و كان خادما لأبي اليقظان كان يتولى علف فرسه.

قال لي احمد بن بشير : قال لي أبو سابق [5]، خرج أبو اليقظان يوما إلى منزله الذي كان اختصه بتسلونت يتفقد في سايعته [6]و عبيده و أبطأ في انصرافه إلى أن دخل الليل" [7] .

---

[1] أبو زكريا يحي بن أبي بكر ، سير الأئمة و أخبارهم . تح : إسماعيل العربي ، الجزائر ، المكتبة الوطنية ، د ط ، 1979 ، ص : 68.

[2] المصدر نفسه ، ص : 68.

[3] المالكي ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص : 61.

[4] المصدر نفسه ، ص : 63.

[5] المصدر نفسه ، ص : 101.

[6] **سايعته** : هي أصل كلمة استسعى و سعى فيقال " سعى المكاتب في عتق رقبة سعاية " و استسعى العبد آي كلفه سيده من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا اعتق بعضه ليعتق به ما تبقى ، و السعاية ما كلف من ذلك ، ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 152.

[7] المالكي ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص : 101

و قال قاضي الإمام أبي اليقظان بان جارية ذات مرة في الليل لجأت إليه لعلها تجد فيه سندها ، فشكت إليه أن زكرياء ابن الأمير أبو اليقظان اخذ ابنتها من بين يديها ، و أن ابنها لم يرضى أن يلحق بابن الأمير خوفا أن يعمد عامل من عماله إلى قتله ، فطمئن المرأة و قال لها سوف أعيدها ، فذهب ذات يوم ، يبحث عن ابن الأمير و احضر البنت إلى أمها [1]، و من خلال ذلك نلاحظ العدل الذي كان يتمتع به هذا القاضي.

و قد ذكر مبارك الميلي انه كان للأسرة الرستمية حصن في جوار لواتة يدعى تاليت به مواشيهم و عبيدهم [2].

2 – تجارة العبيد في أسواق تيهرت:

تعتبر مدينة تيهرت بمثابة ملتقى للطرق التي تربطها بمدينة المسيلة في الشمال ، و بمدينة القيروان في الشمال الشرقي ، و مدينة قفصة في الشرق ، و بمدينة فاس في الشمال الغربي و بمدن تادمكة و غانة و غاو في الجنوب و بفضل موقعها الجغرافي الذي يقع بين التل و الصحراء هذا ما شجع الأئمة على فتحها للتجار [3]، و هكذا تحولت تيهرت إلى مركز تجارب نشيط خلال القرنين الثالث هجري و التاسع ميلادي.

و بدون شك أن التجار الذين غامروا بحياتهم في قطع الصحراء و مواجهة الموت ، كان هدفهم الثروة الطائلة التي كانت تكتسب بسرعة ، فكانت تجارة العبيد و الذهب أهم بضاعتين كان يخرج من اجلهما التاجر الاباضي و غيره ، و الحقيقة أن كلتا المادتين كان الطلب عليهما بشدة [4] فكان العبيد يجلبون من الأحراش في أدغال إفريقيا يجلبهم ملوك الكانم [5]و غانا

---

[1] عباس إحسان ،" المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين ". مجملة الأصالة ، ع : 47 ، تلمسان 2011 ، مج : 17 ، ص : 47.

[2] الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث . الجزائر ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، د ط ، 2010 ، ج : 2 ، ص : 549.

[3] بشاري لطيفة ، " دور الرقيق في المجتمع الاباضي بتيهرت " . المجلة الخلدونية ، أكتوبر 2009 ، ص : 141.

[4] حاوي حبيبة ، دراسة مدينة من م الأوسط منذ الفتح حتى عهد الموحدين " تيهرت نموذجا "، " مذكرة لنيل شهادة الماستر " ، تيارت ، جامعة ابن خلدون ، 2013 – 2014 ، ص : 34.

[5] **الكانم** : و هي مدينة عامرة لا سور لها و بها تجارات و أعمال و صنائع يصرفونها فيها يحتاجون إليه ، و نساء هذه المدينة ينسب إليهن السحر و يقال إنهن عارفات به ، ينظر : الإدريسي الشريف ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 27.

و كوكو و جندوهم من القبائل البدائية ، أكلة لحوم البشر في بلاد لَملَم [1] ، يغيرون عليهم و يسبونهم بضروب من الجيل[2] .

و كانوا يجلبونهم إلى بلادهم فيشترهم التجار المسلمون لينقلوهم بدورهم كبضاعة عبر الصحراء إلى أسواق المغرب الإسلامي ، و كانت أعداد كبيرة منهم ترد إلى بلاد المغرب ، كما كانت كثرتهم ظاهرة في الدولة الرستمية [3]، فكانت أعداد منهم تباع في أسواق خاصة حيث كان النخاسون يصنفون أنواعهم و أجناسهم و أصولهم بعد ذلك يقومون بعرض تجارتهم [4].

و خصصت أسواق لبيع العبيد في بلاد المغرب الأوسط لعل أهمها سوق تيهرت و وارجلان [5]، و تنس و وهران التي كانت تمثل أهم المراكز الاقتصادية في البلاد المرتبطة بتجارة العبيد و من تلك الأسواق كانت تخرج العبيد إما إلى أسواق القيروان أو إلى أسواق بلاد المشرق الإسلامي أو الأندلس [6]، كما كان للقبائل البربرية دور هام في تنشيط تجارة العبيد بأسواق تيهرت إذ كانت قبيلتي لواتة و زناتة تسهران على تنظيم القوافل و مراقبة المسالك و لجلب البضائع و بفضل نشاطهما التجاري هذا فكانت لهما الريادة في هذا المجال.

و بذلك اكتسب رجالها أموالا طائلة و امتلكوا الكثير من العبيد ، كما سهر الأئمة على مراقبة الطرقات و حماية القوافل إذ خصصوا لها جندا لحراستها إلى أن تدخل مدينتهم لحمايتها من سطو اللصوص و قطاع الطرق [7]و مثال ذلك ما ذكره ابن الصغير حيث قال : " ذات يوم خرج الإمام أبو اليقظان مع وجوه زناتة ليجبروا قوافل كانت مقبلة من المشرق ، و فيها أموال لا تحصى و ذلك خوفا عليها من السطو[8].

---

(1) **لَملَم** : ثلاث عشرة مرحلة و هم يركبون النجب من الجمال ، ينظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص : 26.

(2) المصدر نفسه ، ص : 26.

(3) بحاز بكير إبراهيم ، الدولة الرستمية " 160 – 296 هـ / 777 – 909 م " دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية . الجزائر ، نشر جمعية التراث ، ط : 1 ، 1985 ، ص : 228.

(4) الترمانيني عبد السلام ، المرجع السابق ، ص : 106.

(5) **وارجلان**: حيث الطول عشرون درجة و نصف و العرض رابع و عشرون درجة و نصف و عشر دقائق ، و هي بلاد نخل و عبيد ، و منها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط و إفريقية ، ينظر: ابن سعيد المغربي(أبي الحسن علي بن موسى)، كتاب الجغرافيا . تح : إسماعيل العربي ، لبنان ، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر ، ط : 1 ، 1970 ، ص : 126.

(6) بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 228.

(7) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 141.

(8) المالكي ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص : 91.

و قد ذكر الحبيب الجنحاني في كتابه أن وفرة العبيد المجلوب إلى تيهرت من بلاد السودان هو راجع إلى العلاقة التجارية الودية التي كانت تربط الدولة الرستمية ببلاد السودان الغربي [1]حيث كانت القوافل تخرج من وارجلان قاعدة الرستميين محملة بالمنسوجات الصوفية و القطنية إلى بلاد السودان لندرته عندهم و كان التجار يعودون محملين بالذهب و العبيد[2].

و هكذا يتضح لنا أن طريق جبل نفوسة – زويلة – كوار هو اقرب المسالك إلى بلاد السودان ، حيث لا يستغرق المسير فيه أكثر من شهر واحد و يبدوا انه خاص بتجارة العبيد فقط ، فلا شك انه كان المصدر الأساسي للعبيد السودانيين المجلوبين إلى المناطق الشرقية من الدولة الرستمية إضافة إلى القيروان و من هذه المناطق يؤخذ إلى مصر و بلاد المشرق [3]. و يحتمل أن يكون التجار التيهرتيون و غيرهم في بلاد المغرب قد قاموا بدور كبير في توزيع هذه البضاعة [4]، حيث يذكر الاصطخري أن " الخدم السود الذين يباعون في بلدان الإسلام منهم ، و ليس هم بنوبة و لا بزنج و لا بحبشة ، إلا أنهم جنس على حدة اشد سوادا من الجميع و أصفى " [5] و من خلال ذلك نستنتج أن رواج تجارة العبيد قد بعث بدون شك نشاطا كبيرا في اقتصاد المغرب الأوسط خاصة و المغرب الإسلامي عامة [6].

و كان هؤلاء العبيد يصنفون عادة حسب لون بشرتهم من بيض و سود و حسب موطنهم الأصلي ، فمنهم الصقلبي و المغربي و السوداني و يصنف العبيد من الإناث حسب الصنعة و الجمال ، فالتي تتقن النسيج تختلف عن التي لا تتقن حرفة ،و قد يفوق معيار الجمال الصنعة [7].

---

[1] الجنحاني الحبيب ، المجتمع العربي الإسلامي " الحياة الاقتصادية و الاجتماعية " . الكويت ، المجلس الوطني الثقافي و الفنون الآداب ، د ط ، 1978 ، ص : 115.

[2] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي . الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، د ط ، 2011 ، ص : 487.

[3] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص : 146.

[4] بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 228.

[5] الاصطخري ، المصدر السابق ، ص : 229.

[6] بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 229.

[7] بشاري لطيفة ، " دور الرقيق في المجتمع الاباضي بتيهرت " . ص : 141.

و كانت الجواري تتخذن عادة للتسري من طرف الملوك ، و قلـــدهم في ذلـــك العامـــة و أقبلوا على اقتناء الجميلات منهن ، و هذا ما أدى إلى ارتفاع ثمنهن [1]في أسواق مدينة تيهـــرت و بالإضافة إلى ذلك راجت أيضا تجارة نوع آخر من العبيد و هم " الخصيان " [2] ، فكان التجار الاباضية يستوردون الخصيان السود من مملكة كاتم [3]و كان اغلبهم من الزغاويين [4].

و يشير ابن الصغير أيضا إلى وجود الخدم الصقالبة بين العامة بمدينة تيهرت في عهد أبـــو اليقظان فقال : " أن امرأة كانت متوجهة ليلا إلى دار القاضي و كان معها عبد صقلبي معه سراج لإنارة الطريق "[5] و قد كان اغلب الصقالبة قد جلبوا إلى الأندلس أطفالا و بعدها تربوا تربيـــة عسكرية إسلامية و دربوا على أعمال القصر و الحرس و الجيش و هذا النوع الصـــقلبي لم يكـــن يبقى بمدينة تيهرت بل كان يصدر من أسواقها إلى بلاد المشرق على يـــد التجـــار الاباضـــية [6] و بالتالي نستنتج أن الدولة الرستمية كان لها دور بارز في تزويد أسواق بلاد المشرق بالعبيد.

---

(1) بشاري لطيفة ، الرق عند الشعوب القديمة ، ص : 93.

(2) **الخصيان** : من أعضاء التناسل ، واحدة الخص و التثنية الخصيتان و خُصيان ، ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، ج :5 ، ص : 84.

(3) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 141.

(4) **زغاوة** : بفتح أوله و فتح الواو ، قيل هو بلد في جنوبي افريقية بالمغرب ، و قيل قبيلة من السودان جنوبي المغرب ، و قال أبو منصور : الزغاوة جنس من السودان و النسبة إليهم زغاوة ، ينظر : الحموي ياقوت ، المصدر الســـابق ، ج : 3 ، ص : 142.

(5) المالكي ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 90.

(6) عبد العزيز محمد عادل ، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية . القاهرة ، دار غريب للطباعة و النشـــر ، د ط ، 2006 ، ص : 231.

3 – دور العبيد في الحياة السياسية و نشاطهم :

أقحم العبيد أيضا في الحياة السياسية للدولة الرستمية حيث أدوا أدوارا ثانوية أحيانا و أساسية أحيانا أخرى ، و من ذلك نرى أن المجهود الذي بذله عبد الإمام عبد الرحمان بن رستم أثناء فراره من القيروان[1] إلى تيهرت طلبا للنجاة فعندما خرج عبد الرحمان بن رستم من القيروان لم يكن معه إلا ابنه عبد الوهاب ، و غلام له ، و لما مات فرس عبد الرحمان قام بدفنه بعد ذلك ضعف عن المشي و أدركه العياء و الملل.

فصار ابنه عبد الوهاب و غلامه يحملانه مناوبة و كل واحد يقول لصاحبه : إن أدركنا العدّو ، فما دون الخمسمائة لا تضع الشّيخ نظرا لشجاعتهما ، حتى بلغوا بالمغرب سوفجج[2].

أما في أيام الإمام عبد الوهاب أراد خلف بن السّمح المعافري أن يتولى نفوسة و ذلك بعد أن توفي والده ، في محاولة للاستقلال بالمنطقة الشرقية عند الدولة الرستمية[3]، لكن عبد الوهاب قام باختيار أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني[4] عاملا على نفوسة ، هذا ما أدى بخلق للخروج عن سلطة تاهرت و عن الإمام عبد الوهاب و سمي حركته بالخليفة نسبة له[5].

فقام بإصدار أمر لمواليه و مماليكه بان يقتلوا ما قدروا عليه من رجال الإمام عبد الوهاب و ينهبوا المنطقة.

و لكن الإمام عبد الوهاب كان له عبيد كثر يستخدمهم عيونا له مما يدعوا إلى التفكير في انتشار هذا النوع ، من الجوسسة الداخلية و الخارجية آنذاك لدى مختلف القوى السياسية خاصة المتصارعة منها [6]و دعم هذا الرأي ما ذكره ابن خلدون من أن بعض الجواسيس كانوا عبيدا لصالح مواليهم و عندما أدى التقارب الذي تم فيما بعد بين الإمام أبوبكر و صهره محمد بن عرفة إلى إثارة غيرة أبو اليقظان ، فبدا أبو اليقظان و إخوته و بني عمومته يزرعون بذور الشك

---

(1) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 142.

(2) الشماخي ، المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 257.

(3) المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 57.

(4) **أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني**: قال أبو العباس احمد بن سعيد ، انه احد علماء نفوسة الموصوفين بأخلاق نفيسة ، و مال إلى ما طبع عليه من الورع ، و ترك الطمع و كان غاية في إنفاذ الأمور و إمضائها ، ينظر : الشماخي ، المصدر نفسه ، ج : 2 ، ص : 310.

(5) المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 57.

(6) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 142.

في نفس أبي بكر ، فلما جاء يوم خرج ابن عرفة من غير أن يعلم احد من حاشيته و عبيده حتى أتى باب أبوبكر ، و قد كان أبوبكر قد علم بمجيئه و خرج [1].

و قد عهد الإمام أبوبكر إلى غلامه في الليل بأمر ، فسارا جميعا حتى أتيا موضع منتزههما فأقاما هناك ، و لما كان وقت العشاء قال له تعال نصلي المغرب فتصرف ؟ فأسبغ كل واحد منهما وضوءه و استقبلا القبلة ، فلما احرم محمد بن عرفة أشار أبوبكر إلى غلامه أن امض إلى ما أمرتك به فضرب الغلام ابن عرفة فقتله ، بعد ذلك قام الغلام بلفه في ثيابه ثم قام برميه من على حافة جبل و كان يعرف ذلك الموضع بالشفة الحمراء [2] و رغم قيام العبد برمي الجثة ، إلا أن أهله اكتشفوا تلك المكيدة فكانت سببا في قيام فتنة بمدينة تيهرت [3].

و يعتبر العبيد مالا إذ لا يختلف العبد عن أي شيء يملكه الحر فهم يباعون و يشترون و يؤجرون للعمل عند الآخرين كما تؤجر الآلة أو الحيوانات و يستفيد من ذلك مواليهم [4].

فقد كان الاباضية يسمون العبيد " المؤجرين " أو " المستغلات " [5] ، و يبدوا جليا أن مساهمة العبيد في الحياة السياسية ، كانت متفاوتة ، فمنهم من أدى دور أساسي مثل عبيد عبد الرحمان بن رستم ، و منهم من استخدمهم الأئمة من بعد لتحقيق بعض المآرب [6].

و كان العبيد جزءا من حاشية الأئمة الرستميين و الوجهاء في المدينة فهناك من كان يحيط نفسه بالعبيد داخل البيت و خارجه مثل : محمد بن اعرفة صهر الإمام أبي بكر الذي كان يخرج وسط عدد كبير من عبيده.

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج : 1 ، ص : 144.

(2) المالكي ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص : 77.

(3) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 142.

(4) المرجع نفسه ، ص : 143.

(5) **المستغلات:** هي من أصل كلمة غلة و معناها الدخل من كراء دار و اجر غلام وفائدة ارض ، و **استغلال المستغلات** : اخذ غلتها ، ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 1010.

(6) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 143.

و انخرط العبيد في الشرطة أيضا حيث استعان بهم الرستميون [1] لحراستهم ، و ضمان سلامة و امن سكان المدينة [2]، و ذلك لبسط النظام بالمدن و ضواحيها فكانوا أعوان الدولة و قد تجاوزوا سلطتهم أحيانا [3]، و بهذه الطريقة تمكن بنو رستم من حماية و صيانة دولتهم.

نشاط العبيد :

لقد استخدم العبيد في مختلف النشاطات الاقتصادية التي كانت منتشرة في تلك الفترة بمدينة تيهرت و احوازها ، و قد وردت معلومات قليلة عن دورهم في المجال الفلاحي تدل على أنهم يفلحون الأرض و إذ لم تكن أعمالهم مقتصرة فقط على العمل الزراعي بل كان العبيد ذكورا و إناثا يؤدون الأعمال المترلية فاقتناهم الحكام و القضاة و العلماء و الأثرياء من العامة فمثلا كان الإمام عبد الرحمان يكلف عبدا له بخدمة الضيوف ، فيستقبلهم و يناولهم الطعام و كانت الجواري أيضا تسهر على خدمة الضيوف[4].

و يشير الشماخي إلى ذلك فيقول : " أن أبا العباس استسقى جارية القاضي محكم الهواري ليظهر دلالته عليه أمام خصمه ، ليظهر خدماتهن حيث كانت تقدم للمقربين من أصحابهن دون غيرهم [5]، و قد كان القضاة أيضا يستخدمون العبيد للقيام بالأعمال اليومية فمثلا القاضي محكم الهواري اقتنى عبدا خصصه لخدمته ، و لما استقدمه أهل تيهرت من جبل اوراس ليتولى القضاء بمدينتهم ، اشتروا له جارية صفراء لتخدمه بدار القضاء [6].

و لكن نستنتج أن أغلبية هؤلاء العبيد كانوا من العاملين في المزارع و البساتين خاصة أن الدولة الرستمية كانت من الدول الكبرى التي اهتمت بجلبهم من بلاد السودان الغربي جنبا إلى جنب مع الذهب و بشكل واسع جدا و اغلب الظن أن أكثرية العبيد المستوردين كانوا يعملون في مزارع الحكام الرستميين [7] و على سبيل المثال يعقوب بن افلح الرستمي كان يشغل العبيد في مزارعه.

---

(1) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 143.

(2) الكعاك عثمان ، المرجع السابق ، ص : 127.

(3) بشاري لطيفة ، " دور الرقيق في المجتمع الاباضي بتيهرت " . ص : 143.

(4) المرجع نفسه ، ص : 143.

(5) الشماخي ، المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 328.

(6) المالكي ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص : 59.

(7) بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 155.

و اهتموا أيضا بتربية الحيوانات ، خاصة الماشية التي كانت تعتبر مصدر أساسي للصوف حيث استغلها سكان المدن القريبة من المنطقة في حرفة النسيج [1]، لذلك يذكر عبد الإله بنمليح في كتابه انه وردت إشارة إلى بيت امرأة في جبل نفوسة كان لها ثلاث عشرة جارية ينسجن فدخلت عليهن مرة ، و قالت لهم أنها ستقوم بعتقهن " فقمن من الفرح فلم تزد واحدة خيطا " .

و يبدوا من خلال هذه الإشارات أن عمل الإماء في مجال النسيج كان محدودا باعتبار انه كان يدخل ضمن ما يمكن تسميته بـ " الاقتصاد المترلي " الذي يعود ريعه إلى جماعة محدودة لا تتعدى الأسرة الواحدة ، و يمكن أن نلحق بعمل الإماء الغزل ، و أيضا كن يتقن صنع مختلف أشكال الطبيخ و أنواع الحلويات [2]، بالإضافة إلى أنهم استخدموا لتربية الأولاد .

أما في مجال الحرف اليدوية فقد ذكر ابن الصغير المالكي انه وردت معلومات تدل على أن العبيد اشتغلوا في مجال البناء و هو ما نستشفه من قوله إن الإمام عبد الرحمان كان يستعين بعبده في بناء بيته [3].

و إشارت بعض المصادر إلى انتشار عدة لغات للعبيد في محيط الأئمة و الوجهاء فمثلا بتيهرت انتشرت لغة السودانيين لكثرة العبيد السود بها و قد أدت كثرة هؤلاء السودانيين و انتشارهم بين السكان " خدما ، زوجات ، أزواج " إلى غلبة البشرة السوداء بتيهرت و قلة أصحاب البشرة البيضاء ، و قد كان أبناء الإماء السود يتعرضون للسخرية من طرف العامة و الدليل على ذلك أن شيخا يدعى عَزُون عَيَّرَ عبد الله اللمائي الذي ورث سواد البشرة من أمه الأمة بقوله : " لو كان العبد من ديباج لكانت أطرافه من تليس " [4] .

و كما ذكرنا سابقا أن العبيد كانوا يقومون بمختلف الأعمال المترلية و هذا كله لم يمنع أبدا اهتمامهم بالعلم و محاولة كسبه ، و لهذا فان سبب انتشار العلم في أوساط الخدم و الإماء هو أن العلماء و الوجهاء في الدولة كانوا يميلون لشراء العبيد الذين لهم قسط وافر من العلم لمساعدتهم و التباهي بهم ، و كان هذا الاهتمام بالعلم سببا في عتق امة سودانية تدعى غزالة[5] ... كان دأبها

---

(1) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 143.

(2) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 355.

(3) المالكي ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص : 33.

(4) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 144.

(5) المرجع نفسه ، ص : 144.

أن تخدم مولاها بالنهار و أثناء الليل إذا نام و نام عياله انصرفت لتحضر مجلس الذكر عند الشيخ أبي محمد ، فإذا انقضى المجلس رجعت فتأتي مصّلى لها في كهف فتصلي ... فإذا كان آخر الليل أتت أهلها فأيقظتهم للصلاة ففطن لها سيدها فأعتقها [1].

و لم تكن غزالة تحضر مجلس الذكر لوحدها بل كانت النساء أيضا يحضرن مجالس المشايخ الكثيرة ليلا [2]، و كان للجواري الجميلات اثر في الحياة الأدبية خاصة نظم الشعر فكان فتح بن احمد التيهرتي يتحدث عنهن في قصيدة له حيث يقول :

مَا حازَ كُلُ الحُسنَ الاقينَةً بَصَرِيــةً في حُمرَة و بَيَاضِ
الخَمرُ في لحظَاتِها و الوردُ في وجَنَاتِهَا هَيفَاءُ غَيرُ مَفَاضِ[3]

و في الأخير نستنتج أن أهل مدينة تيهرت استكثروا من امتلاك العبيد و استخدموهم في كل مجالات الحياة ، حتى أصبحوا يشكلون جزءا من الدولة الرستمية حيث تدخلوا في شؤون الأئمة و الوجهاء مثلا : عبيد عبد الرحمان ابن رستم .

و أن الرستميون قد استفادوا اقتصاديا و اجتماعيا من تجارتهم مع بلاد السودان خاصة أنهم أفادوا العالم الإسلامي و ساهموا في تزويده بالمعادن كالذهب و أيضا العبيد الذين قاموا باتخاذهم كالخدم في البيوت و القصور و مقابل ذلك لقد جنى الرستميون أطيب الثمار حيث ازدهرت دولتهم و اتسعت و كثر عبيدهم و حرسهم .

و أن تجارة العبيد قد راجت بشكل كبير في الدولة الرستمية حيث اعتبر تجارها أهم ممول لبلاد الأندلس ، فكان هؤلاء التجار الإباضيون يجلبون العبيد من بلاد السودان و ممالك غانة إلى أسواق تيهرت ، و بدون شك أن هذه التجارة قد لعبت دورا بارزا في تنشيط الاقتصاد بالمغرب الأوسط خاصة و المغرب الإسلامي عامة .

---

(1) بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 377.

(2) المرجع نفسه ، ص : 377.

(3) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص : 144.

المبحث الثاني : العبيـــد في الدولـــة الحماديـــة

1 – المجتمـــع الحمـــادي:

يعتبر البحث في الجوانب الاجتماعية للدولة الحمادية أمرا عسيرا ، وذلك لندرة المصـــادر التاريخية ، خاصة عندما نحاول التعمق في البنية الاجتماعية و عليه فمن الصعب رسم صورة كاملة عن المجتمع و الإحاطة بجميع تفاصيله ، إذ يمكننا القول أن المجتمع الحمادي مجتمع متعدد الأجناس كونه يضم نماذج مختلفة الجنس و هذا بفضل سياسية الدولة ، فقد عاشت الدولة طيلة حكمهـــا في جو يسوده الأمن و الاستقرار و الرخاء الاقتصادية و الإشعاع الفكري[1].

و تمثلت هذه الأجناس في القبائل البربرية ، و القبائل العربية و أهل الذمـــة بالإضـــافة إلى الأندلسيين فقد تدفقوا في شكل جماعات إلى بلاد المغرب و اختاروا بجاية لأنهـــا كانـــت مركـــز حضاري إذ بلغت بجاية في عهد الحماديين درجة كبيرة من التقدم و الازدهار ، واحتلت مكانـــة مرموقة بين حواضر العالم في المغرب و المشرق [2] بالإضافة إلى طبقة العوام التي تضم فئة العبيـــد ، و على الرغم من أننا لا نعرف مصدر هذه الفئة إلا انه لا نستبعد أن تكون من السبي و الأســـر من خلال المواجهات مع خصومهم ، خاصة مع زناتة فقد جرت بين زناتة و صـــنهاجة حـــروب كثيرة و انهزمت زناتة في العديد من المرات و أدى ذلك إلى قتل عدد كبير منهم و سبي الكثير من نساءهم و نهب أموالهم [3] .

بالإضافة إلى الحروب مع النصارى ، و كانوا يصفون العبيد الجرماني ، و الصقلي بلفظـــة صقلي و ربما جاءت هذه اللفظة من كلمة اسكلاف بمعنى عبد [4] بالإضافة إلى القرصنة التي تبادل لها المسلمون و المسيحيون ، و لا شك أن طوائف أخرى من الروم و الزنوج قد عاشوا في المجتمع الحمادي و استقروا فيه ، كما أن أسواق النخاسة انتشرت خاصة مع ازدهار إقتصاد الدولة ، هذا ما ساهم في جلب أنواع العبيد من شتى الأصقاع [5] خاصة السود الذي يـــرجح أنهـــم كـــانوا

---

(1) عمورة عمار ، المرجع السابق ، ص : 61.

(2) الغبريني أبو العباس ، عنوان الدرابة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح : عـــادل نـــويهض ، بـــيروت ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، د . ط ، د .ت . ط ، ص : 07.

(3) النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) ، نهاية الارب في فنون الأدب ، تح : عبد المجيد ترحيني ، بـــيروت ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، 2004 ، ج 24 ، ص ص : 91 – 92.

(4) عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد ، القاهرة ، شركة سوزلر للنشر ، ط:1، 1991 ، ص : 238.

(5) السقطي (أبو عبد الله) ، في آداب الحسبة ،تح : ليفي بروفناسال ، باريس ، د . ط ، د.ت.ط ، ص : 48.

منتشرين في المجتمع الصنهاجي ، و كان يشرف على هذه الأسواق غالبا التجار اليهود ، و كانت تجارة العبيد نشيطة في القيروان [1] و المهدية [2] باعتبارهما مركزين تجاريين هامين[3] .

و من الطبيعي أن تربط الدولة الحمادية علاقات اقتصادية مع بلاد السودان حيث زودتها بالذهب و كذلك العبيد السود ، و قد عبر الإدريسي (ق 6 هـ) عن الحركة التجارية النشيطة للعاصمة الثانية للحماديين بقوله : " و مدينة بجاية مدينة المغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد و السفن إليها مقلعة و بها القوافل منحطة ، و الأمتعة إليها برا و بحرا مجاوبة [4].

نستنتج مما سبق أن الحياة الاجتماعية خلال العصر الحمادي ضمت شرائح و أجناس مختلفة اليهود و المسيحيين و القبائل العربية و الأندلسيين و العبيد بالإضافة إلى السكان الأصليين و استطاعت هذه العناصر أن تتعايش في منطقة واحدة رغم اختلافهم في المذاهب و العقائد و اللغات و هذا أفضل سياسة التسامح التي استطاع أمراء بني حماد توفيرها بالإضافة إلى الأمن و الاستقرار فسمحوا لهم بحرية الأديان و ممارسة التقاليد كما حرصوا على معاملتهم معاملة حسنة [5].

---

[1] **القيروان** : القيروان معرب و هو بالفارسية كاروان ، و القيروان في الإقليم الثالث طولها إحدى و ثلاثون درجة و عرضها ثلاثون درجة و أربعون ، قبلة ، و هي مدينة عظيمة بإفريقيا ليس بالقرب مدينة اجل منها إلى أن قدمت العرب افريقية و خرجها ، ينظر : الحموي ياقوت ، المصدر السابق ، ص : 420.

[2] **المهدية** : و هي مدينة عظيمة بناها أبو عبد الله التيعي بينها و بين القيروان ستون ميلا ز البحر قد أحاط بمدينة المهدية من جميع الاتجاهات إلا من الجانب الغربي و فيه بابسا و لها ربف كبير يسمى زويلة ، و هيها أسواق كثيرة ، ينظر : مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص : 07.

[3] موسى عز الدين احمد ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ، دار الغرب الإسلامي ، د . ط ، د . ت . ط ، ص : 301.

[4] الإدريسي الشريف ، المصدر السابق ، ص : 90.

[5] الميلي مبارك ، المرجع السابق ، ص : 777.

2 – مجالات تواجد العبيد في المجتمع الحمادي :

قبل التحدث عن فئة العبيد في المجتمع الحمادي ، يجب أن ننوه أننا لم نجد أي مصدر أو مرجع ذكر هذه الفئة بالتفصيل أو الدور الذي لعبته في المجتمع الحمادي ، فعملنا على وضع هذه الدراسة المتواضعة و هي مجرد استنتاجات من اجتهادنا من خلال ما درسناه سابقا عن الحياة السياسية و الاقتصادية و الحضارية للدولة الحمادية.

فالدارس للتاريخ السياسي للدولة يلاحظ أنها استطاعت أن تفرض كيانها السياسي ، و هذا من خلال ما بذله أمراءها من جهود عظيمة لتأسيس دولة كبرى في المغرب الأوسط [1]، كما كان لهم اهتمام شديد بالبناء و التشييد فشيدوا المدن و القصور [2] ، مثل قصر المنارة ، و قصر البحر ، و قصر السلام ، و هذه القصور تطلبت وجود عدد كبير من العبيد لخدمة الأمراء و القيام بالأمور المترلية كالتنظيف و خدمة النساء الحاكمات ، فقد كانت الأراضي التي يطلق عليها بلاد السودان تمد قصور المغرب بالعبيد السود و الخصيان [3] و بما أن الحياة الاجتماعية تتشابه في كل من المغرب و الأندلس كما أن الدول التي سبقت الدولة الحمادية كانت تتوفر على أعداد هائلة من العبيد فمن المؤكد أن يكون لهذه الدولة القوية عبيد و خدم كسابقتها من دول المغرب الأوسط.

و هذا يوضح وجود فئة العبيد في المجتمع الحمادي ، فكيف لدولة استطاعت أن تفرض نفسها و تؤسس كيانا سياسيا مزدهر حضاريا أن لا تملك أفرادا لخدمتها و تسهيل الحياة اليومية ، و يذكر الونشريسي بان فئة العبيد قامت بدور هام في المجتمع المغربي كخدمة البلاط و الدور أو المتعة و الترفيه فيشير إلى أن رجلا من المغرب كان يقتني جارية تغني في الأعراس و في غير ذلك

---

(1) سعدي عثمان ، الجزائر في التاريخ . الجزائر ، شركة دار الأمة ، د . ط ، 2012 ، ص : 278.

(2) بلعربي خالد ، " البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد " . دورية كان التاريخية ، ع : 5 ، سبتمبر 2009 ، ص : 29.

قصر المنار : يتألف من عدة مباني بعضها بجانب بعض ، و يوجد به قاعات مختلفة الشكل من بينها القاعة الشرقية للقصر ، و يتخلل القصر أحواض من الزهور و الأشجار المنثورة و نافورة المياه ، ينظر : عويس عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص : 287.

قصر السلام : يتكون من أربع غرف و حجر صغيرة ، يؤدي مدخله إلى قاعة مستطيلة يبلغ طولها 17.75 و عرضها 2.75 و به قاعات مختلفة الشكل و المقاسات ، ينظر : بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها . الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د . ط ، 1977 ، ص : 270.

(3) العربي إسماعيل ، دولة بني حماد " ملوك القلعة و بجاية " . الجزائر ، د . ط ، 1980 ، ص : 247.

من المناسبات [1] فكان الأمراء يتخذون في مجالسهم المغنين و المغنيات كما أن الدولة عرفت ازدهارا في إقتصادها خاصة في المجال الزراعي و ذلك راجع إلى توفر الأراضي الزراعية و وفرة المياه [2] ، فرغم أن هناك معلومات شحيحة و قليلة حول كيفية استغلال الأراضي ، فالمعلوم أن الملاك الكبار لا يفلحون أراضيهم بأنفسهم فمن المرجح أنهم كانوا يتخذون العبيد للعمل الزراعي خاصة العبيد السود فقد عرف عنهم قوتهم و قدرة تحملهم و صبرهم [3] كما أنهم عملوا في الخدمة العسكرية ، و كان هذا ضرورة حتمية لتوفير مقومات النصر لمواجهة الأخطار ، فادخلوا ضمن جيشهم عناصر متعددة ضمانا لتعبئة عدد اكبر من القبائل فتنوعت بذلك أصول الجيش [4]و منها الزنوج تعود مواطنهم إلى بلاد السودان ، إتخدهم الملوك و الأمراء لخدمتهم و حراستهم ، فهم حرس ملكي يلازم الأمير الحمادي و كان اللجوء إلى تجنيدهم بناءا على المواصفات التي تميزوا بها مثل القوة البدنية و الصبر على الشدائد [5]و هذا الأمر كان ايجابيا فكان هناك تبادل للخبرات و التقنيات الحربية بينهم و بين فئات أخرى.

و قد خصص لهؤلاء العبيد أماكن في أطراف الأسوار و هذا للحراسة مما يؤكد حسن الثقة ألتي وضعيتها فيهم الملوك [6] بالإضافة إلى الروم الصقالبة و هم من العبيد البيض كان مصدرهم الأسر من مختلف الحملات أثناء نشاطهم البحري ضد السواحل المسيحية [7] أو عن طريق شرائهم بالإضافة إلى انتشار أسواق النخاسة التي كانت تسوق الجواري و الغلمان ، و تم دمجهم قي الجيش الحمادي لأنهم تميزوا بقدرة الثبات و المناورة في الحروب ، و كانت مشاركتهم في مختلف المواجهات التي دارت بينهم و بين الزيريين أو الزناتيين أو العرب الهلاليين ، في حين تجنبوا مواجهتهم مع الروم المسيحيين جذرا من موالاتهم لبني جلدتهم.

---

[1] الونشريسي (أبي العباس احمد ابن يحيى) ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب . الرباط ، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ط : ، 1981 ، ج :5 ، ص : 188.

[2] عويس عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص : 221.

[3] البكري ، المصدر السابق ، ص : 49.

[4] هيصام موسى ، الجيش الحمادي ، (مذكرة ماجستير) ، سنة 2001 ، ص : 24.

[5] البكري ، المصدر السابق ، ص 49.

[6] بوروبية رشيد ، المرجع السابق ، ص : 202.

[7] المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج :01 ، ص : 302.

نستنتج مما سبق أن دور العبيد لا يختلف من دولة إلى أخرى ، و إنما كانوا يقومون بنفس المهام في المغرب و الأندلس ، و رغم الدور الذي لعبوه في المجتمعات إلا أنهم لم يحظون باهتمام فكان فئة محقرة سخرت للخدمة و المتعة و الترف و كانوا مثل البضاعة تشترى عند الحاجة ثم تباع عند مللهم منها ، و لكنا لا ننكر أن بعض الجواري و الخدم قد حظيت بمكانة هامة لدى الأمراء و هذه حالات نادرة لا تعمم ، كما أن هذه الفئة لم تلق إهمال من طرف مالكيها فقط حتى من المؤرخين الذين أحجموا عن ذلك ما يتعلق من أمور خاصة بهذه الفئة.

المبحث الثالث : العبيـــد في المغـــرب المرابطـــي

1 – مصادر العبيد خلال عصر المرابطين :

قبل دراسة هذه الفئة في المجتمع المرابطي يجب أن ننوه أن الدولة المرابطية بنت اقتصـــادها على موارد و غنائم الحرب ، لذلك كان طبيعيا أن تعمل على ضم الشعوب و من ثم فـــان ابـــرز خاصية ميزت المجتمع المرابطي تتجلى في كونه مجتمعا متعدد العناصر البشرية تختلف عرقيا و دينيا و لغويا[1].

و كان هذا التنوع في الأجناس نتيجة وفرة السبي و الأسرى إبان عهد المرابطين و كانـــت اسبانيا المسيحية هي الرافد الأول للأسرى و كانت الحروب مصدرا خصـــبا للتـــزود بالأســـرى و السبايا[2] .

كما أننا لا نستبعد وجود سبي وافد من الناحية الجنوبية و لعل ما يؤكد هذه الفكرة مـــا ذكره البكري على أن قبيلة صنهاجة الصحراء مجاهدون للسودان[3] ، بمعنى أن المرابطين خاضـــوا حروبا ضد قبائل بربرية على غير دين الإسلام و سبيهم لهم و هذا دليل على وجود سبي وافد من الناحية الجنوبية ، و ذكر ابن عذارى ذلك في قوله : و كان يلي لمتونة جبل فيه قبائل من البربـــر على غير دين الإسلام ، فدعاهم عبد الله بن ياسين إلى الدين فامتنعوا له فأمر يحيى بن عمر بغزوهم فغزاهم لمتونة و سبوهم و قسموا سبيهم بينهم[4] و أورد أيضا أن عبد الله بن ياسين[5] قام بجمـــع أصحابه من لمنتونة و قال لهم استعينوا بالله ربكم ينصركم عليهم ، فخرجت لمتونة في اليوم الرابع

---

(1) بوتشيش إبراهيم القادري ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و للأندلس خلال عصـــر المـــرابطين. بـــيروت ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، د ط ، 1993 ، ص : 09.

(2) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 152.

(3) البكري ، المصدر السابق ، ص : 164.

(4) المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 12.

(5) عبد الله ابن ياسين بن مكوك بن سيرية على الجزولي ، أصله من قرية " تماما ناوة " في طرف صـــحراء غانـــا ، اجتهـــد في تحصيل العلوم ، ينظر : البكري ، المصدر السابق ، ص : 165.

و عزم على الحرب فحمي الوطيس بين الفريقين و اشتدت الحرب إلى أن إنهزام أعدائهم و قتلوهم قتلا ذريعا و سلبوا أموالهم و سبوا نسائهم و أبنائهم[1].

و قد وجد نوعين من السبي السبي المسلم و غير المسلم فبالنسبة للسبي المسلم نعني به السبي الناتج عن المواجهات التي حدثت في المغرب و الأندلس أسفرت عن اسر عدد من سكان المغـــرب ، أما السبي غير المسلم فانه الحاصل نتيجة عبور المرابطين للأندلس و مواجهتهم للنصارى و كـــان مصير هؤلاء الاسترقاق[2].

كما وجد في المجتمع المرابطي عنصرين هامين هما الصقالبة الـــروم و العنصـــر الســـوداني ، و يلاحظ خلال العصر المرابطي أن كلمة الصقالبة اختفت من معظم المصادر التاريخية الـــتي أصبحت تستعمل بدلها الروم و الحشم و العلوج ، و في ذلك يقول ابن عـــذاري : " لمـــا أيقـــن تاشفين الهلاك خرج ابن مزدلي فدخل بين الأموات حول الحصن ثم تسلل خفية حتى لحق بســـور وهران مبهوت العقل ... و مشى تاشفين و العلج بشر إلى الرحى التي على الوادي هناك[3] " ... مات تاشفين من ذلك ليلة 27 شعبان ، و أما دار تاشفين التي سموها حصنا فتحصنوا فيها و كانوا نحو ثلاثمائة رجل من حشم و حشد روم " و تعود بداية دخول فئة الصقالبة إلى عهد يوسف بـــن تاشفين[4] فهو أول من اشترى مجموعة منهم بلغت حوالي ثلاثمائة و اربون فارسا ، و الهدف مـــن هذا الشراء يكمن في تقوية دولته و فرض هيبته و ملكه [5].

---

[1] المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 12.

[2] بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص ص : 127 - 147.

[3] المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 21.

[4] **يوسف بن تاشفين** : هو إبراهيم بن تورقيت بن منصور بن مصالة الحميري ، كنيته أبا يعقوب و كانت خلافته مـــن أول ولايته بالمغرب باستخلاف ابن عمه الأمير أبا بكر بن عمر إياه و انصرافه إلى الصحراء ، و كان تاريخ وقفاته ســـنة 500 هـ ينظر : العاملي ابن السماك ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية . تح : عبد القادر بوباية ، لبنان ، دار الكتب العلميـــة ، ط :1 ، 2010 ، ص : 70.

[5] المراكشي ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 21.

و كذلك في عهد على بن تاشفين [1] بعدما غزا مدينة اشكونية [2] و فتحها عنوة ، حمل معه من سبيها إلى العدوة ستة آلاف سبية فانتهى إلى مراكش [3]و الجدير بالذكر أن بعض هؤلاء الروم اعتنق الإسلام ، بينما ظل البعض محافظا على ديانته المسيحية و اخلص بعضهم للدولة المرابطية إخلاصا تاما ، فمنهم من لقي حتفه و هو يقاتل أعدائهم الموحدين أمثال : الروبرتير Reverter [4]بينما تمكنت الخيانة من نفوس بعضهم و أدت بهم إلى تقديم المساعدة للموحدين و ذلك بفتح احد أبواب مدينة مراكش و في ذلك يقول صاحب الحلل الموشية : و لما اشتد أمرهم من حصار مراكش حتى ما يأتي و صفه و ذلك انه لما كان يوم السبت لثمان عشرة من شوال لسنة إحدى و أربعون و خمسمائة على ما نقله اليسع ، انه قال حدثني من أثق به انه لما أراد الله فتحها داخل جيش الروم الذين كانوا بداخلها عبد المؤمن و استأمنوه فأمنهم ، و اتفقوا معه على أن يدخلوه من الباب المعروف بباب أغمات.

نعتبر الحروب التي خاضها المرابطون مصدرا هاما و فر عددا هائلا من عبيد الإفرنج و هذا ما ذكره احد المؤرخين حول الأمير على بن يوسف الذي رجع من إحدى الحملات العسكرية سنة 532 هـ ، مصحوبا بستة آلاف سبية من اشكونية [5]كما ساهمت أسواق النخاسة في توفير العبيد ، و كان يقوم على هذه الأسواق سماسرة العبيد ، و من تولى هذا الأمر يجب أن يثبت عند

---

[1] **على بن تاشفين** : كنيته أبو الحسن ولي بعد وفاة أبيه ، كان كثير الصدقة ، عظيم البر ، مكرما لأمل العلم ، ينظر : العاملي ابن سماك ، المصدر السابق ، ص : 147.

[2] **اشكونية** : بالأندلس من كور تدمير معروفة بشجر التفاح و الكمتري و التين و الرومان و ضروب الفواكه من غير غراسة و لا اعتمال ، ينظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص : 20.

[3] **مراكش** : أعظم مدينة بالمغرب و اجلها و بها سرير ملك بني عبد المؤمن و أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين في حدود سنة 470 هـ ، ينظر : الحموي ياقوت ، المصدر السابق ، مج : 1 ، ص : 199.

[4] المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق ، القسم الموحدي ، ص : 20.

[5] السلاوي (الناصر أبو العباس احمد بن خالد الدرعي) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . تح : محمد عثمان ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، 2007 ، ج : 22 ، ص : 62.

الناس أمانته و عفته و صيانته و أن يكون معروفا بالعدالة لان يتسلم جواري الناس و غلمانهم [1] .

و من البديهي أن يتواجد العنصر السوداني في دولة اعتمدت على عائدات تجارة الذهب و العبيد ، و أول إشارة وردت في المصادر حول العنصر السوداني عند الحديث عن يوسف بن تاشفين إذ لما عظمت شوكته ، إشترى جملة من العلوج فاركبهم و انتهى عنده منهم مائتان و خمسون فارسا شراء بماله و من العبيد نحو ألفين [2] .

و بما أن دولة المرابطين دولة جهاد ، فكانت الغاية من وراء شراء عدد كبير من العبيد السوداني بالإضافة إلى العبيد البيض النصارى هو تقوية دولته ، و قد عرف عن هؤلاء السودانيين قوتهم و صبرهم في تحمل أعباء الحرب و هو ما يوضحه قول ابن عذارى و اركب الجميع فغلظ حجابه و عظم ملكه [3] .

و قد ذكرت المصادر انه تم استعمال أربعة آلاف سوداني في معركة الزلاقة [4] و هذا ما ذكره ابن خلكان و لم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترحل منهم زهاء أربعة آلاف و دخلوا المعترك بدرق اللمط و سيوف الهند و مزاريق الزان [5] .

و يذكر انه في إحدى المعارك التي دارت بين المرابطين و الموحدين انه تم قتل حوالي ثلاثة آلاف سوداني ، و قد لجا الأمير المرابطي على بن يوسف إلى تقسيط عدد الجند السودان الذي

---

[1] نقولا زيادة ، الحسبة و المحتسب في الإسلام . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، د ط ، 1963 ، ص : 106.

[2] العاملي ابن سماك ، المصدر السابق ، ص : 73.

[3] المراكشي ابن عذارى ، المصدر السابق . ج : 4 ، ص : 73.

[4] **معركة الزلاقة:** بطحاء الزلاقة من إقليم بطليوس من غرب الأندلس ، و هي مكان الواقعة الشهيرة للمسلمين على الطاغية ادفونش بن فرذليد و كان ذلك في الثاني عشر من رجب سنة 479 هـ ، ينظر : المراكشي ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج: 4 ص : 130.

[5] ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر) ، وفيات الأعيان و أنباء الزمان . تح : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د ط ، ج: 7 ، ص ص : 117 - 118.

كان على كل مدينة و تحمل نفقات تجهيزه بالسلاح و المال ، و ذلك للتصدي للمد الاسباني في الأندلس ، فكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم [1] .

و يتضح مما تقدم أن الروم رغم قلة عددهم لعبوا دورا هاما داخل المجتمع ، كما شكل السودانيون شريحة مهمة من شرائح المجتمع ، اعتمدت عليها الدولة المرابطية في المجال الاجتماعي و الخدمة المترلية و حتى أنهم شاركوا في المجال العسكري كما ذكرنا سابقا و ذلك لصبرهم و قوتهم و قدرة تحملهم.

2 – ظروف تواجد العبيد خلال العصر المرابطي:

شهد المغرب على العهد المرابطي فترة ازدهار و رخاء ، حيث حرص أمراء المرابطين على النهوض بالدولة في شتى المجالات زراعية كانت أم صناعية أو تجارية ، فعم الرخاء و كثرت الخيرات و قد عبر ابن أبي زرع عن هذا الرخاء فكانت أيامهم أيام دعة و رفاهية و رخاء متصل و عافية و امن ، و كثرت الخيرات في دولتهم عمرت البلاد [2] .

و من الطبيعي أن يؤدي هذا الثراء إلى وجود أعداد كثيرة من العبيد ، فقد وجدت طبقة من الأثرياء احتكرت جميع مصادر الثروة ، و معلوم لدى الدارسين في تاريخ المجتمعات البشرية انه عندما تظهر طبقة ذات ثراء مفرط ينتج عن ذلك طبقة من الفقراء و هذا ما حدث في المجتمع الملثم ، و أدى هذا إلى كثرة العبيد الذين استخدموا و سخروا للعمل في خدمة الطبقة المترفة [3] .

و يتضح أن الظروف التي تمخض عنها تواجد عدد كبير من العبيد بالمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين تكمن في احتياج طبقة الوجهاء و أهل اليسار إليهم في خدمات البلاط أو المتعة و الترفيه [4] .

---

[1] المراكشي ابن القطان ، نضم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان . تح : محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامية ، ط : 2 ، 1990 ، ص : 152.

[2] القاسي ابن أبي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس . الرباط ، صورة للطباعة و الوراقة ، د ط ، 1972 ، ص : 167.

[3] الصلابي علي محمد ، دولة المرابطين ، القاهرة ، دار الجوزي ، د ط ، ص : 12.

[4] القادري إبراهيم ، الإسلام السري في المغرب العربي . القاهرة ، سينا للنشر ، ط:1 ، 1995 ، ص : 130.

فقد كانت القصور تتطلب عدد كبير من العبيد بأنواعه البيض أو السود إناثا و ذكورا.

و يفهم من هذا وجود عبيد بلاط لدى الأمراء و قد برزت هذه الفئة مع الأمير يوسف بن تاشفين بمناسبة تقديمه هدية إلى أبي بكر بن عمر اللمتوني تطيبا لخاطره و تضمنت الهدية خمسة و عشرون ألف دينار من الذهب و سبعون قرسا منها خمسة و عشرون مجهزة بفاخر الجهازات ، و مائة و خمسون من البقال و الذكور و الإناث و بعث له عشرون جارية أبكارا و جملة من خدم الخدمة[1] و نجد أن صاحب الحلل الموشية يذكر نفس المعلومات عن الجواري لكن مع اختلاف في عدد ما ذكر : بعث له عشرين جارية و مائة خادم و إحدى و خمسون خادما[2].

و لم يقتصر امتلاك العبيد على الأمراء فقط بل تعداه إلى الفقهاء و معروف أن دولة المرابطين قامت على أساس ديني ، فقد قربوا إليهم هذه الطبقة فارتفع شان هؤلاء أكثر ، و نال الفقهاء ثروات ضخمة و جاه عريض ، فبنو الدور الفخمة و القصور و ملئوها بالحشم و العبيد[3]، كما كان لهم دور هام في الجانب العسكري ، فقاموا باستغلالهم كطاقة حربية فقد تم استعمال العبيد السود في الحروب و قد عرف عن عبيد السودان تمرسهم بأمور القتال[4] و قد نميز بين هؤلاء " بنو قوقو " من غانة بمهاراتهم العالية و قوتهم الضاربة في الحروب[5].و قد تمكن احد عبيد المرابطين من إصابة الادفونش بضربة بخنجر في خده ، و كان هذا الأمر وراء تراجع القوات الاسبانية[6] و استخدم العبيد أيضا للسهر على تجارة القوافل و حراستها و هذا ما أشار إليه احد

---

(1) المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 26.

(2) العاملي ابن سماك ، المصدر السابق ، ص ص : 75 - 76

(3) دتدش عصمت عبد اللطيف ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا . لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، 1988 ، ص : 132.

(4) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ص : 117.

(5) القادري إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 235.

(6) ابن الخطيب لسان الدين ، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الإعلام، تح : احمد مختار العبادي ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، د ط ، 1964 ، ص : 243.

الجغرافيين إذ يقول كان لتجار اودغشت أموال عظيمة و رقيق كثير و كان للرجل منهم ألف خادم [7].

و السبب الأهم الذي أدى إلى وفرة أعدادهم يتجلى في الخدمات المترلية التي كان يجيدها العبيد ، لذلك كثر عددهم داخل البيوت ، و كانت كثرة العبيد رمزا و دليلا على الثراء ، لهذا تنافس الأمراء و الحكام على توفير عدد كبير منهم حيث برز العبيد السوداني في الخدمة المترلية فكانوا يحسنون عمل الأطعمة الطبية من الجوزنيقات و القطائف و أصناف الحلويات و غير ذلك[1].

و يتضح من نصوص أخرى أنهن استعملن كجواري لجمالهن و اعتدال أجسامهن و أنهن ذوات ترف و لطف ، فمثلوا وسيلة للترف و المتعة [2].

و خلاصة القول سجل العبيد في المجتمع المرابطي حضورا فاعلا في المغرب و الأندلس و ذلك عبر مشاركتهم في الحياة الاجتماعية ، فقد شكل العبيد فئة مستضعفة احتلت مراتب دنيا ، و يمكن التمييز في خدمات العبيد بين خدمات مترلية كالطبخ و العجين و تربية الأبناء إلى القيام بمهمات خارج المترل ، إلى تولي إرضاع الأطفال و تدبير شؤونهم ، و يمكن القول أن العبيد لم يلعبوا دورا يذكر على صعيد الإنتاج بل انحصرت مهمتهم في الخدمات الاجتماعية.

3 - معاملة العبيد في العصر المرابطي:

صنف المؤرخون العبيد في أدنى سلم الهرم الاجتماعي و لم تنل هذه الشريحة حقها من طرف المؤرخين رغم اعدادهم الهائلة و دورهم المتميز في شتى المجالات ، باستثناء ما ورد عنهم أثناء سرد أخبار الحروب و الحملات العسكرية [3]، و يرد ذكرهم خلال الحديث عن الطبقة

---

[7] البكري ، المصدر السابق ، ص : 168.

[1] المصدر نفسه ، ص : 158.

[2] عينوز عبد العزيز و آخرون ، المرجع السابق ، ص : 58.

[3] القادري إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 229.

الخاصة أو عند ذكرهم لنوعية الخدمة التي يقومون بها داخل البيوت و القصور أو أثناء الحديث عن التجارة و كبار التجار ، و عبر عن ذلك احد الجغرافيين في سياق حديثه عن اغمات[4].

و من المؤسف أن العبيد لم يخلفوا لنا أثرا نستعين به لدراسة أحوالهم و المهم أن فئة العبيد تعد أكثر الفئات التي تعرضت للطمس و التعتيم [1].

و مع اتساع الدولة المرابطية و بلوغها مرحلة الكماليات و الازدهار اكتظت القصور و دور الحكام و الوزراء بالخدم و العبيد ، و لم يخرج الولاة عن ذات القاعدة إذ تفننوا في بناء القصور و ملاها بالعبيد و الجواري ، و لم يقتصر امتلاك العبيد على الأمراء و الأثرياء فحسب بل تعداه ليشمل الفقهاء و حتى البعض من ميسوري الحال [2]. و ذكرت المصادر أن معاملة العبيد في العصر المرابطي كانت كريمة و يظهر ذلك من خلال المعاملة الحسنة من طرف أسيادهم [3]. و مع ذلك فان الروح الاستعلائية استمرت ، وقد صورت لنا الأمثال العامة وضعية العبيد الاجتماعية ، ودعت إلى تجنب الاختلاط معهم ، كقولهم : " من خالط الخدم ندم " [4] و قد عرف ن المرابطين ارتدادهم للثام فكان السادة يتخذون لثاما مغايرا للعبيد [5] و أن من يلتثم يجب أن يكون صنهاجيا أو ملتونيا أو لمطيا لان ما عداهم من الحشم ، و العبيد حين يتخذون اللثام يأتون بكثير من الفواحش بسبب تخفيهم وراء اللثام ، و قيل أن عبيد المرابطين إذا تلثموا وجب أن يكون ذلك بعلامة يعرفون بها مثل أن يتلثموا بخمار أو مئزر [6].

---

(4) **اغمات** : مدينة واقعة على بعد نحو أربعة و عشرون ميلا عن مراكش ، مبنية على منحدر جبل من جبال الأطلس و هي محاطة البديعة و حقول الكروم ، القاسي الحسن بن محمد الوزان ، و صف إفريقيا . بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط : 2 ، 1983 ، ج : 1 ، ص ص : 135 - 136 .

(1) القادري إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 229.

(2) المرجع نفسه ، ص : 231.

(3) موسى عز الدين احمد ، المرجع السابق ، ص : 120.

(4) الزجالي ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 226.

(5) دندش عصمت عبد اللطيف ، المرجع السابق ، ص : 35.

(6) ابن عبدون ، رسالة في الحسبة . تح : ليفي بروفنسال ، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، د ط : 1953 ، ص : 28.

كما أشارت بعض الأمثال إلى ضرورة الشدة و القسوة معهم و هذا ما يعكس تمام ما قاله احد المؤرخين أن معاملة المرابطين كانت معاملة حسنة فلم يكتف الشعراء بالاستهزاء و السخرية بالسود فحسب بل تعداه بعض الشعراء إلى التعبير عن حقدهم و مقتهم الشديد للعبيد و صبوا جام غضبهم عليهم خصوصا على العصاة منهم و هذا ما توضحه الأبيات الشعرية في ذم العبيد.

" وَ رُبَ يَومَ حَمِيتٍ غَيظاً مِن أَسوَدِ اللَونِ كَالخَبِيث " [1].

و أما زواج العبيد فكان مقرونا بسلطة السيد على عبيده من الذكور و النساء منهم ، فكان له القرار الأول في أمر زواجهم و كان الأسياد يتولون دفع صداق عبيدهم [2]و قد اعتبر المجتمع زواج الحرة من العبد مذلة و مهانة ، و كان مثل هذا الزواج يمنع ، كما أن العبيد كانوا يورثون كما تورث الأملاك ، إلا إذا ترك السيد وصية تحريره [3].

كما أنهم حرموا من تلقيب أنفسهم بأسماء الأشخاص الأحرار و كان يختار لهم بدل ذلك اسم من الأسماء الملائمة للعبيد اش اسود إذا اقل سيدي احمد [4].

و لعل أبشع صور المهانة و الازدراء التي تعرضوا لها من قبل أسيادهم تلك التي تجلت في استخدامهم حتى في قضاء حاجاتهم الطبيعية و قد صورت الأمثال هذا الواقع المؤلم[5] . و هذه الأمثال توضح أن الجواري هن من كن يقمن بكل أعمال البيت دون استثناء ، أما الحرائر فلم تكن تقمن بأي شيء ، و يبرز أيضا إهمال النساء الحرائر لأزواجهم في تلك الفترة كما كان بعض العبيد عرضة للأمراض الفتاكة التي أسفرت عن وفاة معظمهم ، نتيجة الظروف المزرية التي كان يعاني منها العبيد ذكورا و إناثا [6].

---

[1] القادري إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ص : 240 - 242.

[2] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 128.

[3] بن رشد (أبي الوليد محمد بن احمد الجد) ، فتاوى ابن رشد ، تح : المختار بن الطاهر العليلي ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، ط:1 ، 1987 ، السفر الأول ، ص : 1328.

[4] الزجالي ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 221.

[5] **قالت أمثال العامة ما يعكس هذا المعنى** : سيدة تنادي أمتها عفرا خذي بيد سيدك بخرا ، مثل رقم 1713 أنظر نفس المصدر ، ج : 1 ، ص : 219.

[6] القادري إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 242.

و من خلال هذه الدراسة المتواضعة لحالة العبيد في المجتمع المرابطي يمكن القول أن هـــذه الفئة استغلت استغلالا فظيعا فقد سخروا للعمل في الأعمال المضنية إلى جانب الأعمـــال المترليـــة دون انقطاع ، إذ ما يكادون ينتهون من عمل حتى يجدون عمل آخر في انتظارهم[1].

فرغم هذه الأوضاع إلا أنهم لم يظهروا سخطهم و غضبهم الكائن في صـــدورهم علـــى أسيادهم على غرار انتفاضات العبيد في المشرق ، رغم أن الظروف خاصـــة في أواخـــر العصـــر المرابطي كانت مواتية[2].

و الأمثال التي خلفوها تعكس هذه الروح الاستكانة المعبرة عن عجزهم عن الجهر بالتمرد أو الثورة ضد أسيادهم و هذا المثل يعكس هذا المعنى : شتمت مولاي تحت كساي[3] .

و نستنتج أن العبيد في الحقبة المرابطية لم يشكلوا خطرا على الدولة المرابطية.

---

(1) الزجالي ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 221.

(2) القادري إبراهيم ، المرجع السابق ، ص : 242.

(3) الزجالي ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 222.

المبحث الرابع : العبيـــد في المغـــرب الموحـــدي

1 – المجتمـــع الموحـــدي :

تشكل المجتمع الموحدي منذ نشأته على الطبقية و يرجع السبب في ذلك إلى السياسات التي انتهجها زعيمهم الروحي [1] المهدي ابن تومرت [2] الذي قام بتصـــنيف أصـــحابه إلى طبقـــات فجل منهم العشرة و هم المهاجرون الأولون الذين أسرعوا إلى إجابته و هم المسمون "بالجماعـــة " و هي الطبقة الأولى ، و جعل منهم " الخمسين " و هم الطبقة الثانية ، و الطبقـــة الثالثـــة هـــم " السبعين " ، و سمى عامة أصحابه و جميع من دخل تحت طاعته بما فيهم العبيد " الموحدون ".

و هذه الطبقات كلها لا تجمعها قبيلة واحدة بل هم من قبائل شتى و كان يسميهم المهدي المؤمنين و يقول لهم " لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يـــأتي أمر الله " و انتم الذين يفتح الله بكم فارس و الروم و يقتل الدجال [3] و بهذه التنظيمات التي قـــام بها المهدي اثر في قومه فاظهروا له الولاء و الطاعة.

و قد قام احد الشعراء بنظم قصيدة و هو واقف على قبر ابن تـــومرت و كـــان ذلـــك في محضر جماعة من الموحدين فقال :

سَلاَمُ عَلىَ قَبرِ الإمَام المُمَجَّدِ سُلاَلَة خَيرِ العَالَمِينَ مُحَمَـــد
وَ مَشبَهَةُ فِي خَلقِهِ ثُمَ فِي إِسمِهِ وَفِي إِسمِ أَبِيه وَ القَضَاءِ المُسَدَّدِ

---

[1] بن قربة صالح ، عبد المؤمن علي موحد بلاد المغرب . الجزائر ، موقع للنشر ، د ط ، 2011 ، ص : 55.

[2] **المهدي ابن تومرت " 515 هـ – 524 هـ "** : هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عـــدنان بن صفوان بن سفيان بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و هو من قبيلة المصامدة ، ينظر : العاملي ابـــن سمـــاك ، المصدر السابق ، ص : 170 . و ابن خلدون (أبي زكرياء يحيى) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد . تح : عبـــد الحميد حاجيات ، الجزائر ، المكتبة الوطنية ، د ط ، 1980 ، ج :1 ، ص : 170.

[3] المراكشي (عبد الواحد ابن علي) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب . تح : خليل عمران المنصور ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط : 2 ، 2005 ، ص : 133.

روافد العبيد في المغرب الموحدي :

تبدوا مصادر و روافد العبيد في المغرب الموحدي أكثر وضوحا و ذلك من خلال الحروب و الحملات التي قادها الموحدون ضد أعدائهم خاصة المرابطين و كان ذلك منذ ظهور الدعوة الموحدية ، بقيادة المهدي ابن تومرت فقد اتهموا المرابطين بالمجسمة و هذا ما أدى بالموحدين إلى الخروج عن طاعتهم و الدخول في طاعته [1] و قد كان المهدي في كل غزوة من غزواته يأمر جيشه أن يأتوا بالسبايا رجالا و نساءا.

و أباح لهم جهادهم أن يسبوا النساء و الأطفال [2] و على حسب قول المهدي أن جميع من خالف الموحيدين يعدون من العبيد في قوله : " بان أهل الجماعة و صبيانهم عبيدهم كل من في الدنيا " [3] كما لجا الموحدون إلى سبي المرابطين و هذا كان ربما كرد فعل لما قام به هؤلاء ضدهم في معركة البحيرة [4]. و في خمسين فارسا دخل الموحدون مدينة مكناسة فسفكوا الدماء و سبوا النساء و الأطفال و استباحوا الأموال ، و تمادوا في ذلك يوما كاملا و نادى مناديهم في أواخر النهار برفع السيف و عظم البلاء في ذلك اليوم على الناس [5]، و يوضح لنا دخول الموحدين مدينة مراكش [6]، قيل أن هنتانة و أهل تيتملل دخلوا من باب دكالة و دخلت صنهاجة و عبيد المخزن

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر ، ج : 6 ، ص : 266.

[2] القاسي ابن زرع ، المصدر السابق ، ص : 181.

[3] البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) ، أخبار المهدي بن تومرت . تح : عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، موقع للنشر ، د ط ، 2011 م ، ص : 56.

[4] **البحيرة** : تعرف ببحيرة الرقائق و كان وقوعها يوم السبت 12 ابريل 1130 م، جمادى الأولى 524 هـ و جرت بها الوقعة الكبيرة بين الموحدين و المرابطين ، ينظر : المصدر نفسه ، ص : 40.

[5] إبن غازي (أبي عبد الله محمد بن احمد بن محمد العثماني المكناسي) ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون . الرباط ، د ط ، د ت ط ، ص : 10.

[6] العاملي ابن سماك ، المصدر السابق ، ص : 143.

من باب الدباغين أما بقية القبائل دخلت من باب ينتان [1] بعدها جعل عبد المؤمن أمناء على الأبواب ، و قسم على الموحدين أموالها و ديارها و بيع عيال مراكش و بيع العبيد [2] .

فأبيحت مراكش ثلاثة أيام و من وجد فيها من اللمتونيين ثم عفاعنهم محمد بن عبد المؤمن و اشتراهم من الموحدين و اعتقهم [3] كما أن أول غزوة للخليفة الموحدي اتجاه تادلة سنة 526 هـ فخرج لها من تينملل يوم الخميس الرابع و العشرون لربيع الأول من سنة ست و عشرون و خمسمائة في ثلاثين ألف من الموحدين و حتى وصل تادلة فغنمها و سبا أهلها و انصرف[4] .

و بعد ذلك توجهوا نحو تارودانت فقتلوهم و غنموا أموالهم بقرا و غنما و دوابا و عبيدا و سبوا أطفالهم و أهاليهم [5] و سبى أيضا الموحدون عددا كبيرا من أهل دكالة [6] و كان عبد المؤمن قد سار إليهم في أمم لا تحصى من الخيل و الرجالة و الرماة ، فألجأهم السيف إلى البحر فقتل أكثرهم في المياه وأخذت إبلهم و غنمهم و أموالهم و سبي أولادهم و أنهى البيع فيهم المرأة بيعت بدرهم و الغلام بنصف درهم [7] .

عبد المؤمن بن علي كان رجلا طموحا و لم يكتف بكل هذه الغزوات التي قام بها و واصل زحفه إلى المغرب الأوسط و دخل في مواجهة مع صنهاجة التي انهزمت و قتل الكثير من أفرادها و نهبت جميع أموالهم و سبيت كل نسائهم و أطفالهم و عبيدهم [8] .

---

[1] معروف حفصة ، الفكر العسكري عند الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي . بوزريعة ، دار شطايبي للنشر و التوزيع ، د ط ، 2013 ، ص : 229.

[2] العاملي ابن سماك ، المصدر السابق ، المصدر السابق ، ص : 143.

[3] المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص : 28.

[4] القاسي بن زرع ، المصدر السابق ، ص : 186.

[5] مجموعة مؤلفين ، رسائل موحدين . تح : احمد عزاوي ، ط: 1 ، 1995 ، ج :1 ، ر ر: 3 ، ص : 51.

[6] **دكالة** : كانت منازلها في القديم على سيف البحر بين وادي أم الربيع و وادي تنسيفت ، ينظر : العاملي ابن سماك ، المصدر السابق ، ص : 147.

[7] المصدر نفسه ، ص : 147.

[8] ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) ، الكامل في التاريخ. تح: محمد يوسف الدقاق ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط: 4 ، 2003 ، ج: 9 ، ص : 373.

و من الطبيعي أن يكون أهل الأندلس عرضة للمصير نفسه الذي لقيه أهل المغرب الأوسط و الأقصى و الأدنى ، فقد اصطدم الموحدون هناك بمقاومة مرابطية إلى جانب قيام ثوار استغلوا ظروف الانتقال السياسي لأجل تحقيق طموحات فردية خاصة [1] ففي أيام الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي تمت مهاجمة حصن اطرونكس و كان حديث سكان النصارى ، فأغاروا على جهاته و امتلأت أيدي المسلمين من نساءهم و أبنائهم و مواشيهم و أباحوا السيف في رقاب رجالهم و قبضوا جميع أموالهم و قتلوا الرجال و سبوا النساء [2].

و وجه الموحدون غارة أخرى قرب مدينة غرناطة من اجل التصدي لغارة اسبانية ، فانهال عليهم الموحدون بالقتل و الأسر و السبي و أخذوا الغنائم و حازوا دوابهم نسبوا من أعلاج النصارى ثلاثة و خمسين علجا استقاهم إلى غرناطة مع جملة الغنائم [3] و بالإضافة إلى السبي في العهد الموحدي نجد ظاهرة الخطف و هذا ما توضحه رسالة الخليفة الموحدي المستنصر إلى نوابه الذي نقض الهدنة مع النصارى في قوله : " و قد بلغنا منكم من اكتساح النصارى و الزيادة على ذلك باختطاف الأسرى " [4].

و إلى جانب عمليات السبي و الخطف لجا الموحدون إلى الفداء و القتل و يبدوا أن الفداء حظي باهتمام السلطة الموحدية [5]، و أطلق اسم الفكاك على من كان يتولى أمر الفداء ، و هذا ما ذكره ابن عذاري في سنة ست و سبعين حيث اسر غانم بن مردنيش قائد أسطول سبتة و كتب لأمير المؤمنين يصف أسره و سوء حاله ، فوصل كتابه ، فأمر في الحين لأبي القمر بن محمد أخي

---

(1) بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 146.

(2) المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج :1 ، ص : 54.

(3) ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) ، المن بالإمامة . تح : عبد القادر التازي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، 1964 ، ص : 275.

(4) مجموعة مؤلفين ، رسالة موحدية . ص : 303.

(5) بنميلح عبد الإله ، المرجع السابق . ص : 158.

غانم أن ينصرف إلى مراكش ، فحضر المال و بعثه إلى اشبيلية فانصرف الفكاك بـــه و دفعـــه إلى النصارى ، وأطلق سراح غانم من الأسر [1].

و قد اتخذ الفداء أيام الموحدين شكلين ، فداء أسرى مقابل أسرى و فداء أسرى مقابـــل المال [2] و أما بخصوص قتل الأسرى فان الموحدين لجئوا إليه في العديد من المناسبات فعقب موقعة الأرك طاردا لموحدون الإسبان و حاصروهم طليطلة و انتهت باقتحام الجيش الموحدي حصـــونها و قتل رجالها و سبي حريمها [3].

و لما عبرت أيضا جيوش يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس ، فقام النصـــارى باقتحـــام جيشه ثم طعنوه طعنة قاتلة و قتلوا ثلاث من جواريه و لما طعن و قع بالأرض فتصايح العبيد عليه و قاموا بمناداة الفرسان و الجنود ليأتوا إليه [4] و بعد موته قام النصارى بأخذ كل ما يملكون مـــن المال و الدواب و العبيد.

العبيد كعنصر في الجيش الموحدي:

كان الجيش يعتبر عماد الدولة الموحدية [5] به يتم القضاء على الثورات و التصدي للخطر الخارجي لهذا أولى[6] عبد المؤمن بن علي عناية خاصة لتنظيم الجيش و تطويره ، و قد بلغت هذه التنظيمات العسكرية الموحدية في عهده من حيث الضخامة و الدقة مبلغا لم تبلغه أية دولة أخـــرى

---

[1] المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق ، ق م ، ص : 143.

[2] بنمليح عبد الإله ، المرجع السابق ، ص : 159.

[3] ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج :7 ، ص : 08.

[4] السلاوي ، المصدر السابق ، ص : 233.

[5] **الدولة الموحدية** : هذه الدولة أسسها و أنشاها أبو عبد الله المهدي و كان رجلا فقيرا منشغلا بطلب العلم و سميت دولة الموحدين لأنها أول دولة وحدت المغرب والأندلس ، ينظر : ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ج: 1 ، ق:2 ، ص : 398.

[6] **عبد المؤمن بن علي " 524 هـ – 558 هـ "** : هو عبد المؤمن بن علي بن علّوي زنات الأصل من كومية لان أمه حـــرة كومية ، و هي قبيلة صغيرة مناولها بقرية تاجرا قرب تلمسان و هذا الزناتي هو الذي ســـيتزعم دولـــة المصـــامدة ، ينظـــر : الزركشي (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم) ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية . تح : محمد ماضـــور ، تـــونس ، المكتبـــة العتيقة ، ط: 2 ، د ت ط ، ص : 08. مؤنس حسين ، تاريخ المغرب و حضارته من قبيـــل الفـــتح الإســـلامي إلى الغـــزو الفرنسي. لبنان ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، ط: 1 ، 1992 ، مج : 2 ، ج: 2 ، ص : 86.

في بلاد المغرب الإسلامي ، فكان الجيش على عهد عبد المؤمن يقتصر في بادئ الأمر على القبائل الموحدية لكن بعد ذلك تغير الوضع و أنظمت إليه عناصر أخرى .

و كانت قبائل الموحدين تعتبر العنصر الأساسي للجيش و هذه القبائل نظمها ابن تومرت من قبل و تكون هذا النظام من أربعة عشرة طبقة [1] ، و ما يهمنا من هذه الطبقات هي الطبقة الرابعة عشر و الأخيرة و هي طبقة العبيد و الموالي.

و من هنا يتضح لنا أن استخدام العبيد السود في الجيش الموحدي كحرس كان في سنة 515 هـ مع بداية ظهور المهدي إلى غاية سنة 668 هـ . و كان يقال لهم جناوة حيث كانوا يلبسون جبايا بيضاء و بأيديهم حراب في رؤوسها رايات من حرير و كانوا بعد خطفهم من قراهم يباعون إلى التجار القادمين من المغرب إلى بلاد السودان [2] و إضافة إلا أنهم تواجدوا كعنصر في الجيش كانت لهم أيضا مشاركة في الحياة العامة فظهروا كعمال في المزارع و البساتين و الأرض و استعمل الموحدون أيضا النصارى كحرس في الجيش منذ عهد المنصور (الموحدي).

و استخدمت نساؤهم كخدم في المنازل إذ اشتهرن بتحضير الحلويات بمختلف أنواعها إضافة إلى إشرافهن على تربية الأطفال و رعايتهم ، و لم يقتصر العبيد الموجودين في الدولة الموحدية على السودانيين فقط [3] .بل استخدموا أيضا عبيد ازليم و تازاكورت الذين سماهم المهدي ابن تومرت عبيد المخزن [4].

---

[1] معروف حفصة ، المرجع السابق ، ص ،ص : 66 – 72.

[2] حسن محمد نبيلة ، تاريخ الحضارة الإسلامية . مصر ، دار المعرفة الجامعية ، د ط ، 2007 ، ص : 271.

[3] شرقي نوارة ، الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الموحدين " 524 – 667 هـ - 1129 – 1268م " (رسالة ماجيستير) ، الجزائر ، معهد التاريخ ، 2008 – 2009 ، ص : 61.

[4] البيذق ، المصدر السابق ، ص : 57.

و من منطلق هذا المصطلح فهو في اغلب الظن لم يكن يعني عبيد السودان حيث ذكر صاحب كتاب الأنساب " أن عبيد المخزن ثمانية أفخاذ بمصة ، جزولة أصل مراكش ، بنو وارجلة ، اغزافن ... [1] و من خلال هذا القول يرى عز الدين موسى أن عبيد المخزن كانوا عناصر مرابطين لان هذه الفرقة تكونت في حياة المهدي فقط ، لأنه في غزواته ضد المرابطين جوز للموحدين اسر أعدائهم و ربما كان هؤلاء بربرا و خليط من عدة أجناس [2].

كما وجدت في الجيش فرق أخرى كفرقة عبيد الدائرة و سميوا بهذا الاسم لأنهم كانوا يحيطون بالخليفة و يضربون دائرة حوله أثناء المعارك و فرقة الطبالة التي كانت استعمالاتها للأغراض العسكرية مثلا كالإعلان عن بدا سير الجيش أو انطلاق المعركة [3].

و لكننا نلاحظ أن التعاليم التي وضعها ابن تومرت كان الظلم فيها واضحا لأنه أمير المؤمنين [4] قتل أخاه إبراهيم عند ما كان في زيارة عنده على يد محمد بن أبي بكر ، و لما أراد عبد المؤمن أن ينتقم من قاتل أخيه ، منعه الموحدين من فعل ذلك بحجة انه من أهل الجماعة و هنا نرى أن عبد المؤمن بن علي قد وضع في موقف صعب و لم يستطيع فعل أي شيء[5] .

و لكن بالرغم من كل ما حصل له فالمعروف عن عبد المؤمن انه كان عادلا و قد عمل على تكريم المرأة و خير مثال على ذلك : ذات يوم لما عاد من إحدى غزواته كان من جملة سباياه " تماكونت " و هي ابنة ينتان بن عمر احد وزراء علي بن يوسف بن تاشفين ، فرجته أن يعفوا

---

[1] معروف حفصة ، المرجع السابق ، ص : 80.

[2] موسى عز الدين عمر ، الموحدون في المغرب الإسلامي " تنظيماتهم و نظمهم " . لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، 1991 ، ص : 220.

[3] شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص : 62.

[4] **أمير المؤمنين** : عبد المؤمن هو أول من لقب نفسه بأمير المؤمنين ، ولعل المغزى المهم في لقب أمير المؤمنين أن إتباعه هم المؤمنون الموحدون و غيرهم كفار ، ينظر : غلاب عبد الكريم ، تاريخ المغرب العربي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، 2005 ، ج:2 ، ص : 193.

[5] البيذق ، المصدر السابق ، ص : 81.

عنها و يطلق سراحها ، و عبد المؤمن لم يتردد قط في قبول رجائها و أمر على الفور بإطلاق سراحها و سراح جميع النساء و أرسلهن إلى بيوتهن معززات مكرمات[1] .

و بالإضافة إلى هذه الصفات كان عبد المؤمن بن علي رقيق الطبع و كانت له جارية تسمى حسناء فكان يحبها كثيرا إلى درجة انه نسي كل الأحداث والفتن التي كانت تحيط بمملكته و به و قال فيها لما خرج يوما إلى بعض غزواته و ودعها منشدا :

اَلاَ كَيفَ صَبرِي عنكَ يَا غَايَةَ المُنَا أَلاَ إِنَ رُوحِي بَعدَكُم سَوفَ تَذهَبُ[2]

لَقَد أَورَثَتنِي يَومَ وَدَعتُ حُسنَهَا حَرَارَة وَجدِي وَ الهَوى يَتَلَهَبُ

فَقَلبِي حَيرَانُ لِفَرطِ لَهِيبِهَا وَفِي الخَدِ عَين مِن دُمُوعِي تُسكَبُ

فهذه الجارية كان لها اثر في نفس عبد المؤمن بن علي حيث قام بنظم هذه الأبيات الشعرية لها[3].

و كما لاحظنا أن للجواري تأثير على الشعراء و الأمراء الذين يكتبون الشعر كان لهن أيضا دور في الفوضى و الاضطراب اللذان عرفتهما الدولة الموحدية فالجارية " حباب " أو "حنان" زوجة الخليفة المأمون [4] و أم الرشيد ، كان لها نفوذ سياسي خطير حيث قامت بكتم وفاة زوجها المأمون و سعت إلى بيعة ابنها الرشيد الذي لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره و بذلت من اجل تحقيق هدفها أموالا طائلة لمساعدتها من النصارى من اجل كسب ولاء القادة [5].

---

[1] الصلابي علي محمد ، دولة الموحدين . لبنان ، مكتبة حسن العصرية ، ط: 1 ، 2009 ، ص : 103.

[2] المزاري (الاغابن عودة) ، طلوع سعد السعود " في أخبار وهران ، الجزائر ، اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن 19 ". تح : يحيى بوعزيزة ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 ، 1990 ، ج: 1 ، ص : 145.

[3] المصدر نفسه ، ص : 145.

[4] التازي عبد الهادي ، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي . المغرب ، دار أبي رقراق للطباعة و النشر ، د ط ، 2013 ، ص : 177.

[5] حميدي مليكة ، المرأة المغربية في عهد المرابطين " 448 – 541 هـ / 1056 – 1146 م دراسة تاريخية " . الجزائر ، كنوز الحكمة للنشر ، د ط ، 2011 ، ص : 129.

و قد استعمل الجواري أيضا كجواسيس ، و هناك بعض الجواري قد حظين بمكانة هامة و مقربة لدى أسيادهم ، فكان بعض الأمراء و العلماء يقومون بشراء الجواري و تأديبهن و تعلمهن اللغة و نظم الشعر و أيضا تعليمهن الموسيقى و الرقص و الغناء و كانوا بعد ذلك يتخذونهن كزوجات لهم [1].

و في الأخير نستنتج أن العبيد في الدولة الموحدية قد حظوا باهتمام كبير من طرف الأمراء خاصة الجواري و كانوا يستخدمونهم في القصور للحراسة و في الخدمة المترلية و حتى في تربية الأولاد و لكن الملاحظ عن العبيد عند الموحدين لقد كانوا يشكلون عنصرا هاما و أساسيا في الجيش حيث كانوا يعتمدون عليهم كثيرا و كانوا يقدمونهم في معاركهم ضد المرابطين في المراتب الأمامية .

و أما حديثنا عن مصادر العبيد في المغرب الموحدي ، فقد كان الموحدون في كل غزوة من غزواتهم يجلبون معهم الأسرى و السبايا و يتخذونهم عبيدا لهم و بخصوص قتل الأسرى فإنهم لجئوا إليه في العديد من المناسبات .

و كان السبي نوعين سبي المسلم و غير المسلم و ذلك كما ذكرنا سابقا كان من خلال الغارات التي كانت تشن ضد الأعداء بالإضافة إلى الخطف الذي يعتبر ظاهرة شائعة في كل المجتمعات القديمة و الحديثة .

---

[1] بوصوار خيرة – عياد زهرة ، الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي على عدد الموحدين " 524 – 667 هـ / 1129 – 1268 م " (مذكرة ليسانس). تيارت ، جامعة ابن خلدون ، 2010 – 2011 ، ص : 37.

و في الأخير نستنتج أن مسالة العبيد في بلاد المغرب الأوسط لم تحظ باهتمام جل المؤرخين حيث أنهم اغفلوا التطرق لهذه المسالة خاصة في الدولة الحمادية حيث لم يتم ذكر العبيد إطلاقا ، إلا أننا من خلال الإسقاطات التي قمنا بها توصلنا إلى أن أمراء الدولة الحمادية قد امتلكوا العبيد و استخدموهم في مختلف الأعمال أما فيما يخص الدولة الرستمية فقد استنتجنا أن أهل مدينة تيهرت قد امتلكوا الكثير من العبيد و أوكلوا إليهم بعض الأعمال في مختلف المجالات و لاحظنا أن تجارة العبيد قد راجت بشكل كبير في أسواق تيهرت و لعبت دورا بارزا في تنشيط الاقتصاد بالدولة الرستمية .

و من خلال دراسة العبيد في المجتمع المرابطي توصلنا إلى أن هذه الفئة قد استغلت استغلالا فظيعا حيث سخروا للأعمال المنزلية دون انقطاع و بالتالي لم يشكلوا خطرا على الدولة المرابطية ، أما الدولة الموحدية فقد حضي العبيد بالاهتمام من طرف الأمراء خاصة الجواري ، حيث شكلوا عنصرا هاما و أساسيا في الجيش الموحدي فقد كانوا يقدمونهم في المراتب الأمامية في غزواتهم ضد العدو.

خاتمة

إنّ الرّق نظام قديم ، عرّفه الفقهاء أنه موجب للكفر لأنه ظاهرة اجتماعية تقـــوم علـــى استغلال الإنسان لإنسان آخر ، و لعل نشوءه كان مرتبط بنشوء الزراعة إذ حيثما أنـــتج هـــذا الإنسان و أصبح بحاجة إلى يد عاملة في مزارعه و أراضيه و تحول الأمر مـــن قتـــل الأســـير إلى استرقاقه و اعتبر أسرى الحروب أولى المستغلين ، فكان للعبيد حضورا في بـــلاد المغـــرب عامـــة و المغرب الأوسط خاصة ، و وجد نوعين صنفوا حسب لون بشرتهم العبيد السود و البيض ، أما فيما يخص مصادر جلبهم فكانت هناك عدة طرق أهمها الحروب و هذه الأخيرة ساهمت في توفير عدد كبير منهم ، بحيث كانوا يعتبرون الأسرى من غنائم الحرب و كان مصير هؤلاء في الغالـــب الاسترقاق ، بالإضافة إلى الفقر فقد أدى الفقر الشديد إلى بيع النفس فيصبحون عبيـــدا و أيضـــا الشخص الذي كان يعجز عن الوفاء بدينه كان يسترق.

كما نلتمس سلطة السيد في مجالات استغلالهم التي لا تستثني العبد عن الأمة و لا الأبيض عن الأسود ، ففي المجال الاجتماعي شكّل العبيد شريحة هامة في المجتمع ، فتولوا الخدمـــة المترليـــة بالإضافة إلى مهمات خارج المترل ، إلى تولي إرضاع الأطفال و تدبير شؤونهم ، و كن يشـــرفن على كل أمور البيت .

أمّا في المجال الاقتصادي عملوا بالزراعة و ما ارتبط بها من حرف مختلفة و بالنسبة لحضور العبيد في المغرب الأوسط كان حضور العبيد متميزا في الدولة الرستمية فقد امتلك أهـــل مدينـــة تيهرت الكثير من العبيد و استخدموهم في مختلف المجالات حتى أصبحوا يشكلون جزءا من الدولة ، إذ ازدهرت تجارة العبيد و راجت بشكل كبير في أسواق تيهرت و هذا ما ســـاهم في تنشـــيط اقتصاد الدولة و الشيء نفسه يقال عن الدولة الحمادية و إن اختلفت مصادر الدولتان في الحصول عليه إذ مثلت التجارة الخارجية للدولة الرستمية مع بلاد السودان أهم مورد للعبيد بحكم موقعهـــا الجغرافي في حين اعتمد الحماديون على مصدر آخر تمثل في الحروب و الغزوات الـــتي خاضـــتها الدولة ، و كان لفئة العبيد دور واضح في الجانب العسكري مـــن خـــلال مشـــاركته كعنصـــر في تركيبة الجيش الحمادي.

كما شكلت فئة العبيد في المجتمع المرابطي شريحة هامة استغلت في شتى المجالات و رغـــم الأوضاع التي كانوا يعانون منها إلا أنهم لم يشكلوا خطرا على استقرار الدولة.

و من الواضح أن الدولة الموحدية قد امتلكت العبيد كسابقتها من دول المغرب الإسلامي و اتخذوا كخدم في مختلف المجالات الاجتماعية ، خاصة في المجال العسكري حيث اعتمد علـــيهم القادة بكثرة و وضعوهم في المراتب الأمامية أثناء المعارك.

و في الأخير نستنتج أن مسالة العبيد في بلاد المغرب الأوسط لم تلق اهتماما كـــبيرا مـــن طرف المؤرخين و إنّ ما وقفنا عليه هو مجرد إشارات وردت في المصادر و المراجع ، و إنها دعـــوة صريحة إلى تكثيف الجهود في سبيل البحث عن حياة فئة اجتماعية استضعفت في الأرض.

ملاحق

ملحق رقم : 1

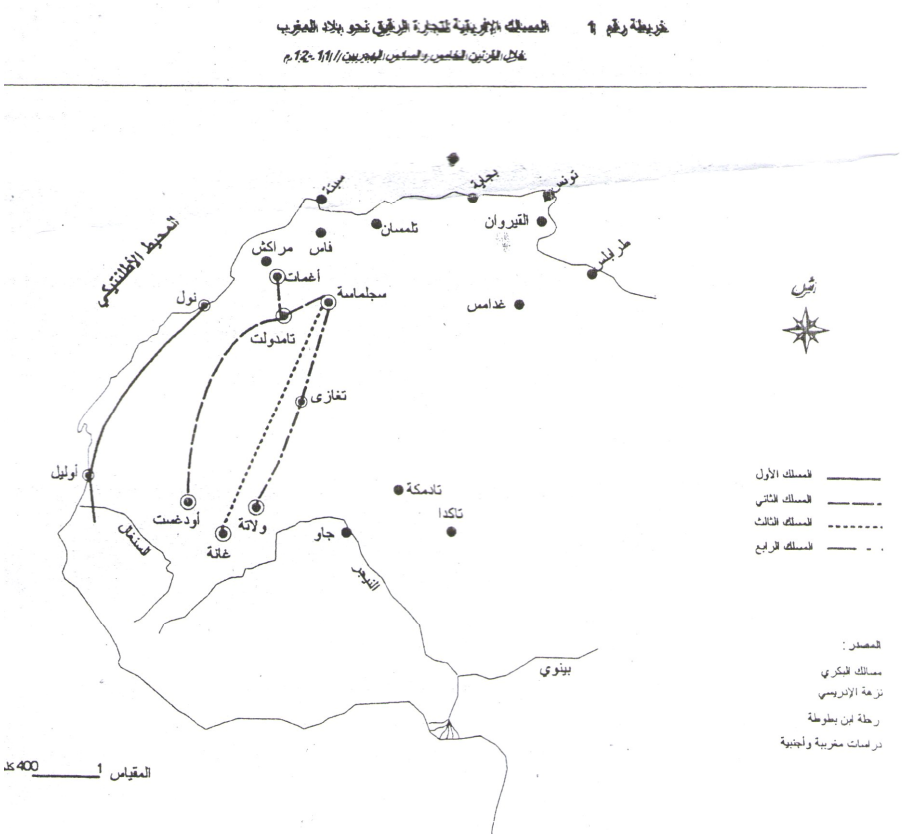

المسالك الإفريقية لتجارة الرقيق نحو بلاد المغرب خلال القرنين الخامس و السادس للهجرة 11 – 12 م

– عبد الإله بنمليح ، المرجع السابق ، ص : 188.

ملحق رقم : 2

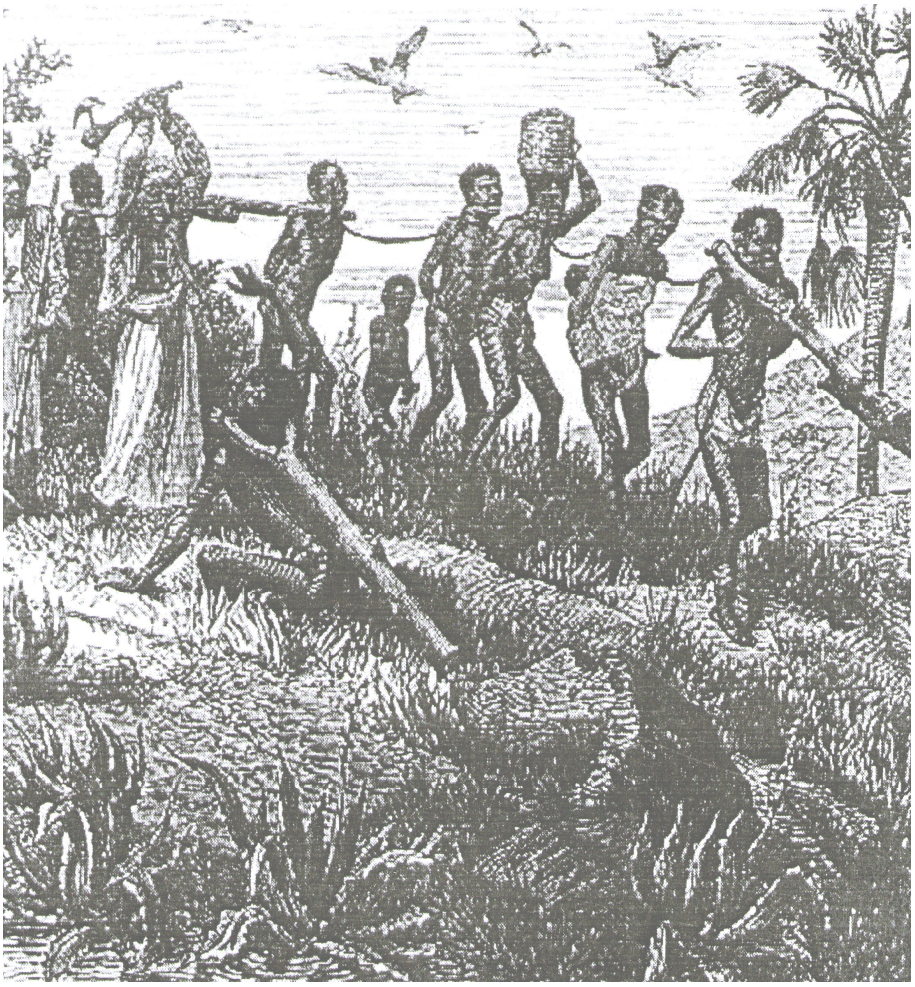

طريقة لنقل العبيد

– عينوز عبد العزيز و آخرون ، المرجع السابق ، ص : 27.

ملحق رقم : 3

قافلة من العبيد

– عينوز عبد العزيز و آخرون ، المرجع السابق ، ص : 155.

ملحق رقم : 4

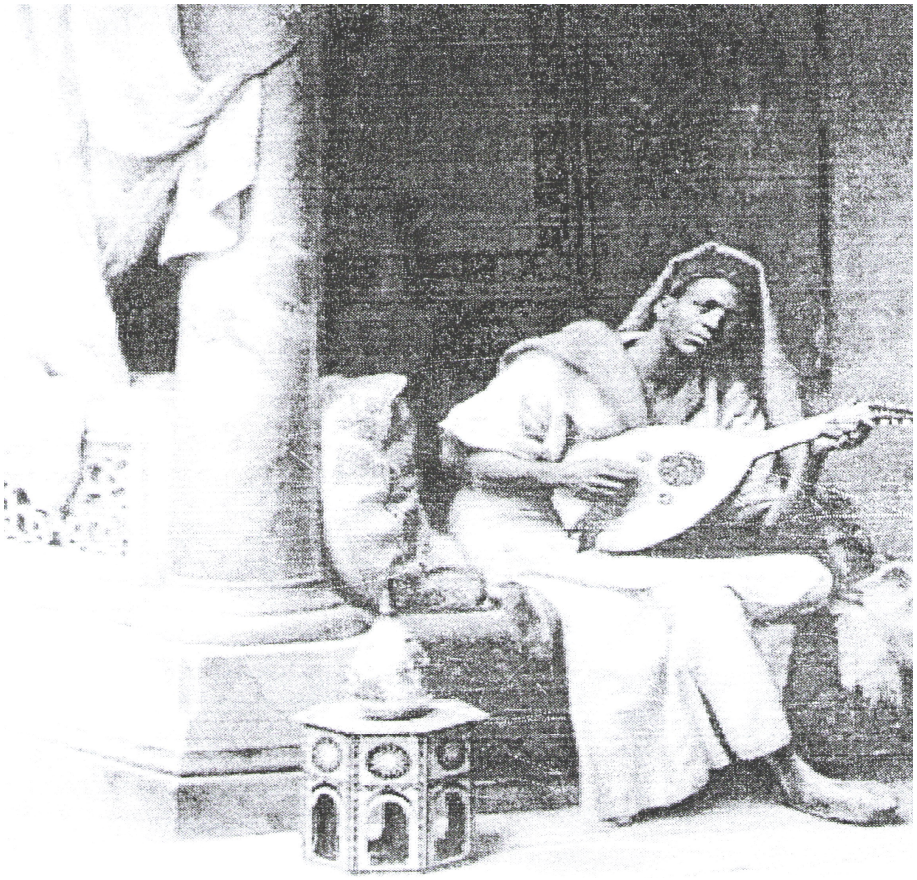

نموذج من الإماء المغنيات

- عينوز عبد العزيز و آخرون ، المرجع السابق ، ص : 214.

قائمة المصادر و المراجع

فهرس الموضوعات

القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع

- المصـــــــــــــــــادر:

1- ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبـــد الواحـــد الشيباني (ت 630 هـ / 1233 م) ، الكامل في التاريخ . تح : محمد يوسف الـــدقاق ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط : 4 ، 2003 م ، ج : 9.

2- الإدريسي أبي عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت 558 هـ / 1163م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ،2002 ، ج :01.

3- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 346 هـ / 957 م) ، المسالك و الممالك . بيروت ، دار صادر ، 1928م .

4- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن الاحنف بن الجعفي) (ت 256 هـ) ، صحيح البخاري ، لبنان ، دار صادر .

5- البكري أبو عبد الله (ت 487 هـ / 1094 م) ، المغرب في ذكر حلى المغرب .القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي.

6- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت 555 هـ / 1160 م) ، أخبار المهـــدي بـــن تومرت . تح : عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، موقم للنشر ، 2011 م .

7- جي – دي – فيج ، تاريخ غرب إفريقيا . تح :السيد يوسف ، القاهرة ، دار المعارف ، ط :1 ، 1982م.

8- الحسن الوزان بن محمد الفاسي (ت 957 هـ / 1550 م) ، وصف إفريقيا . بـــيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط : 2 ، 1983 م ، ج : 1 .

9- الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت 626 هـ / 1228 م) ، معجـــم البلدان ، لبنان ، دار صادر ، 1977 م ، مج : 4.

10-الحميري محمد ابن عبد المنعم (ت 823 هـ / 1323 م) ، الـــروض المعطـــار في خـــبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ط : 01، 1970م .

11- ابن حوقل أبي القاسم محمد النصـــيبي البغـــدادي (ت380 هـ / 1405 م) ، صـــورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992م .

12- ابن الخطيب لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرنـــاطي الأندلســـي (ت 776 هـ / 1374 م) ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإســـلام و ما يتعلق بذلك من الكلام ، تح : احمد مختار العبادي ، الدار البيضاء ، دار الكتـــاب ، 1964 م ، قسم : 3 ، ج : 1.

13- ابن خلدون أبو زكرياء يحى (ت 780 هـ / 1378 م) ، بغية الرواد في ذكر الملـــوك من بني عبد الواد ، تح : عبد الحميد حاجيات، الجزائـــر ، المكتبـــة الوطنيـــة ، د ط ، 1980م، ج : 1.

14- ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808 هـ / 1405 م) ، المقدمة ، لبنـــان ، دار الكتـــب العلمية ، ط : 09 ، 2006 م .

15- // ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تع : عادل بن سعد ، لبنان ، دار الكتب العلميـــة ، ط : 01 ، 2010 م ، ج : 7 .

16- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت 631 هـ / 1233 م)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، لبنان ، دار صادر ،ج : 7 .

17- الدرجيني أبي العباس احمد بن سعيد ، طبقات المشائخ بالمغرب . تح : إبراهيم طـــلايّ ، جميع الحقوق محفوظة ، ج :1.

18- ابن رشد الجد أبي الوليد محمد بن احمد القـــرطبي المـــالكي (ت 520 هـ / 1126 م) فتاوى ابن رشد . تح : المختار بن الطاهر العليلي ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، ط:1، 1987 م ، السفر الأول .

19- الزجالي أبي يحى ، أمثال العوام في الأندلس . تح : محمد بن شريفة ، منشـــورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية و التعليم الأصلي ، قسم 1.

20- ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس . الرباط ، صور للطباعة و الوراقة ، 1972 م.

21- الزركشي أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم (ت 894 هـ / 1488 م) ، تاريخ الـــدولتين الموحدية و الحفصية . تح : محمد ماضور ، تونس ، المكتبة العتيقة ، ط : 2 .

22- أبو زكريا يحيى ابن أبي بكر (ت 471 هـ / 1078 م) ، سير الأئمة و أخبارهم . تح : إسماعيل العربي ، الجزائر المكتبة الوطنية ، 1979 م.

23- ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بـــن موســـى (ت 685 هـ / 1274 م) ، كتـــاب الجغرافيا . تح : إسماعيل العربي ، لبنان ، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشـــر ، ط :1 ، 1970 م .

24- السقطي أبو عبد الله ، في آداب الحسبة .تح : ليفي بروفنسال ، باريس .

25- السلاوي أبي العباس شهاب الدين احمد بن خالد بن حماد الناصـــري (ت 1315 هـ)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . تح : محمد عثمان ، لبنان ، دار الكتب العلمية، ط :1 ، 2007 م ، ج :1.

26- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكـــر (ت 911 هـ / 1505 م) ، أزهـــار العروش في أخبار الجيوش . تح : عبد الله عيسى الغزالي ، الكويت ، منشورات مركـــز المخطوطات و التراث و الوثائق ، ط :1 ، 1995 م .

27- الشماخي أبو العباس احمد بن أبي عثمان ســـعيد بـــن عبـــد الواحـــد (ت 928 هـ / 1522م)، السِّيَر . تح : محمد حسن ، لبنان ، دار المدار الإسلامي ، ط :1، 2009 م ، ج :2.

28- الشنتريني أبي الحسن ابن بسام (ت 542 هـ / 1148 م) ، الذخيرة في محاســـن أهـــل الجزيرة . تح : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1975 ، قسم :3 ، ج :1.

29-ابن صاحب الصلاة عبد الملك (ت 594 هـ) ، المن بالإمامة . تح : عبد القادر الطازي، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط :1 ، 1964 م.

30- ابن الصغير المالكي ، أخبار الأئمة الرستميين . تح : محمد ناصر و إبراهيم بحاز ، لبنان، دار الغرب الإسلامي ، 1986 م.

31-العاملي ابن سماك ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تح : عبد القادر بوبايـــة، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط :01 ، 2010 م .

32- ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبـــد الله (ت 257 هـ / 871 م) ، فتـــوح إفريقيـــا و الأندلس . تح :عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، مكتبة المدرسة دار الكتاب اللبنـــاني، 1964 م.

33- ابن عبدون ، رسالة في الحسبة . تح : ليفي بروفنسال ، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمـــي الفرنسي للآثار الشرقية ، 1953 م .

34- ابن عذاري المراكشي (ت 712 هـ / 1312 م) ، البيان المغرب في أخبـــار الأنـــدلس و المغرب . تح : ج . س كولان و ليفـــي بروفنســـال ، لبنـــان ، دار الثقافـــة ، ط : 3، 1983 م ، ج : 1.

35- ابن غازي أبي عبد الله محمد ابن احمد ابن محمد العثمـــاني المكناســـي (ت 919 هـ / 1513 م) ، الروض الهتون إلى أخبار مكناسة الزيتون . الرباط .

36- الغبريني أبو العباس (ت 704 هـ / 1304 م) ، الدراية قيمة عرف مـــن العلمـــاء في المائة السابعة ببجاية . تح : عادل نويهض ، بيروت ، منشورات دار الآفاق الجديدة .

37- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود (ت 672 هـ / 1283 م) ، أثار البلاد و أخبـــار العباد . بيروت ، دار صادر.

38- ابن القطان المراكشي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان . تـــح : محمـــود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، ط :2 ، 1990 م .

39-كربخال مارمول ، إفريقيا ، تر : محمد حيحي و آخـــرون ، مكتبـــة المعـــارف للنشـــر و التوزيع، ط :1 ، 1984 م ، ج .

40-مالك بن انس (ت 179 هـ) ، الموطأ ، تح : نواف الجراح ، ابنان ، دار صادر ، ط:1، 2004 م .

41- مجموعة مؤلفين ، رسائل موحدية . تح : احمـــد عـــزاوي ، ط :1 ، 1995 م ، ج : 1 ، رسالة رقم :3.

42- مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تع : سعد زغلول عبد الحميد ، العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة .

43- المراكشي عبد الواحد بن علي (ت 647 هـ) ، وثائق المرابطين و الموحـــدين . تـــح : حسين مؤنس ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط :1 ، 1997 م.

44- // ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب . تح : خليل عمران المنصور ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط : 02 ، 2005 م .

45-المزاري الآغا بن عودة ، طلوع سعد السعود " في أخبار وهـــران ، الجزائـــر ، اســـبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن 19 . تح : يحيى بوعزيز ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، ط:1، 1990 م ، ج :1.

46- المسعودي أبي الحسن بن الحسين بن علي (ت 346 هـ / 957 م)، مـــروج الـــذهب و معادن الجوهر . مر : كمال حسن مرعي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 2005 ، ج:1.

47-مسلم أبي الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261 هـ) ، صـــحيح مسلم ، بيروت ، دار صادر ، ج :3.

48- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد (ت 387 هـ / 997 م) ، أحسن التقاســـيم في معرفة الأقاليم . بيروت ، دار صادر ، ط :2 ، 1906 م .

49- المقَّري احمد ابن محمد التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م) ، نفح الطيب في غصـــن الأندلس الرطيب . تح : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1908 م ، ج :1.

50- المنجم إسحاق بن حسين (ت ، ق 5 هـ / 11 م) ، إكام المرجان في ذكـــر المـــدائن المشهورة في كل مكان.

51- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لســـان العـــرب ، لبنان ، دار صادر للطباعة و النشر ، مج :5.

52- النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ / 1332 م) ، نهايـــة الارب في فنون الأدب . تح : عبـــد المجيـــد تـــرجيني ، بـــيروت ، دار الكتـــب العلميـــة ، ط :1، 2004م ، ج :24.

53-الونشريسي أبي العباس احمد ابن يحيى (ت 914 هـ / 1508 م) ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب ، الرباط ، نشـــر وزارة الأوقـــاف و الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، ط :1 ، 1981 م ، ج :3 .

54- اليعقوبي احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضـــح العباســـي (ت 284 هـ / 897 م) ، تاريخ اليعقوبي ، لبنان ، دار ضادر ، ط :1 ، 2010 م ، ج :2.

- المراجـــــــــــــــــــع :

55) - أمين احمد ، ضحى الإسلام . بيروت ، دار الكتاب العربي ، ج :1 .

56) - بحاز بكير إبراهيم ، الدولة الرستمية " 160 – 296 هـ / 777 – 909 م " دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية . الجزائر ، نشـــر جمعيـــة التـــراث ، ط :1 ، 1985 م.

57) - بشاري لطيفة ، الرق عند الشعوب القديمة . الجزائر ، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط ، ط :1 ، 2011م .

58) - بن قربة صالح ، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب . الجزائر، مـــوفم للنشـــر، 2010م.

59) - بنمليح عبد الإله ، الرق في بلاد المغرب و الأندلس . بيروت ، مؤسســـة الانتشـــار العربي ، ط :1 ، 2004 م .

60) - بوتشيش إبراهيم القادري ، اثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصـــف القرن الثالث حتى الخلافة . الرباط ، مطابع منشورات عكاظ.

61) - // ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المـــرابطين. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993 م.

62) - بوروبية رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها . الجزائر ، ديوان المطبوعـــات الجامعية ، 1977 م .

63) - التازي عبد الهادي ، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي . المغـــرب ، دار أبي رقـــراق للطباعة و النشر ، 2013 م .

64) - التليسي بشير رمضان – الذويب جمال هاشم ، تاريخ الحضارة العربية الإســـلامية . لبنان ، دار المدار الإسلامي ، ط :2 ، 2004 م .

65) - جبر حسن ، أسس الحضارة العربية الإسلامية و معالمها . الكويـــت ، دار الكتـــاب الحديث ، ط :2 ، 1999 م .

66) - الجنحاني الحبيب ، المجتمع العربي الإسلامي " الحيـــاة الاقتصـــادية و الاجتماعيـــة . الكويت ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، 1978 م .

67) – جودت يوسف عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوســـط خلال القرنيني الثالث و الرابع الهجريين . ديوان المطبوعات الجامعية .

68) – الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام . الجزائر ، دار الأمة للنشـــر ، 2010 م، ج :1.

69) – حرمية الطيوبي ليلى ، القيان و الأدب في العصر العباسي الأول . لبنان ، مؤسســـة الانتشار العربي ، ط :1 ، 2010 م .

70) – حسن محمد نبيلة ، تاريخ الحضارة الإسلامية. مصر ، دار المعرفة الجامعية، 2007 م.

71) – حسين الحاج حسن، حضارة العرب في صدر الإسلام. لبنان، المؤسســـة الجامعيـــة للدراسات والنشر والتوزيع، ط :2 ، 2006 م.

72) – الحفاف عبد الرحمان، مدخل إلى معرفة الإسلام. مر: محمد الصالح رمضان، الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ط :4 ، 2007 م.

73) – حميدة مليكة ، المرأة المغربية في عهد المرابطين " 448 – 541 هـ / 1056 – 1146 م دراسة تاريخية " . الجزائر ، كنوز الحكمة للنشر ، 2010 م .

74) – أبو خليل شوقي، الإسلام في قفص الاتهام. دمشق، دار الفكر، 1980م .

75) – خليل عماد الدين، مدخل إلى التاريخ الإسلامي. لبنان، المركـــز الثقـــافي العـــربي، ط:1، 2005م.

76) – دلو برهان الدين ، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإســـلامي . لبنـــا ، دار الغربي، ط :1 ، 1985 م.

77) – دندش عصمت عبد اللطيف ، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصـــر الطوائف الثاني . بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط :1 ، 1988 م.

78) – // ، دور المرابطين في نشر الإسلام في الغرب إفريقيا . لبنان ، دار الغـــرب الإسلامي ، ط :1 ، 1988 م .

79) – الزحيلي وهب ، أثار الحرب في الفقه الإسلامي " دراسة مقارنـــة "، دار الفكـــر، 1965م.

80) – زيادة نقولا ، الحسبة والمحتسب في الإسلام. بيروت، المطبعة الكاثوليطية، 1963م.

81) – سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي " تاريخ دولة الاغالبة و الرســتميين و بني مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين . مصر ، منشاة المعارف جلال حــزي ، ج :2 .

82) – سعدي عثمان ، الجزائر في التاريخ . الجزائر ، شركة دار الائمة ، 2012 م .

83) – السيد أبو مصطفى كمال ، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصــادية و الدينيــة و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوى المعيار المعــرب للونشريســي . القاهرة ، مركز الإسكندرية للكتاب.

84) – السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية . لبنان ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر .

85) – // ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي. الإسكندرية ، مؤسســة شــباب الجامعة، 2011م.

86) – شاكر محمود ، السودان . بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط :2 ، 1971 م .

87) – شباروا عصام محمد، الدولة العربية الإسلامية الأولى. لبنان، دار النهضــة العربيــة للطباعة والنشر ، ط :3، 1995م.

88) – شحادة نزيه،صفحات من الحضارة الإسلامية.بيروت_لبنان، دار النهضة العربية، ط : 1، 2006 م.

89) – الصالح صبحي، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها.بيروت_لبنان، دار العلم للملايين ، ط :5، 1980م.

90) – الصلابي علي محمد ، دولة الموحدين . لبنان ، مكتبة حســن العصــرية ، ط :1 ، 2009م.

91) – // ، دولة المرابطين. القاهرة، دار الجوزي.

92) – عبد العزيز محمد عادل، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية. القــاهرة، دار غريــب للطباعة والنشر، 2006م.

93) – عبد القوي عثمان شوقي ، التجارة بين مصر و إفريقيا في عصر المماليك . القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000 م .

94) – العربي إسماعيل ، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجبية . الجزائر ، 1980 م.

95) – عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر . الجزائر ، دار ريحانة للنشـــر و التوزيـــع ، ط : 1 ، 2002 م.

96) – عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد . القاهرة ، شـــركة ســـوزلر للنشـــر ، ط 2 ، 1991 م .

97) – عينوز عبد العزيز – بل الفايدة عبد العزيزي – الغرايب محمد ، الـــرق في تـــاريخ المغرب . الرباط – المغرب ، ديور الجامع ، 2010 م.

98) – الغربي محمد ، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي . الكويت ، مؤسسة الخلـــيج للطباعة و النشر ، ج :1 .

99) – غلاب عبد الكريم ، تاريخ المغرب العربي . بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط :1، 2005 م ، ج :2.

100)– القادري إبراهيم ، الإسلام السري في المغرب العربي . القاهرة ، سينا للنشر ، ط :1، 1995 م .

101)– قدورة الشامي فاطمة ، الرق و الرقيق في العصور الجاهلية و القديمة و صدر الإسلام . بيروت ، دار النهضة العربية ، ط :1 ، 2009 م .

102)– الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصـــر الحجـــري إلى الاحـــتلال الفرنسي . مر : أبو القاسم سعد الله و ناصر الدين سعسدوني ، بيروت ، دار الغـــرب الإسلامي ، ط :1 ، 2003 م.

103)– كواتي مسعود ، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين . الجزائر، دار هومة ، ط :2 ، 2009 م .

104)– مؤنس حسين ، تاريخ المغرب و حضارته من قبيـــل الفـــتح الإســـلامي إلى الغـــزو الفرنسي. لبنان ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، ط :1 ، 1992 م .

105)– المالكي عبد الوهاب، المعونة على مذهب الإمام مالك.تح: عبـــد الحـــق حمـــيش ، تلمسان، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، 2011م، ج :2.

106)– محاسنة محمد حسين ، الحضارة الإسلامية . الأردن ، مركز بريد النشر ، 2005م.

107)– معروف حفصة ، الفكر العسكري عند الخليفة الموحدي عبد المـــؤمن بـــن علـــي . بوزريعة ، دار شطايبي للنشر و التوزيع ، 2013 م .

108)- موسى عايدة ن تجارة العبيد في إفريقيا . الجزائر ، وزارة الثقافة ، 2009 م .
109)- موسى عز الدين احمد ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإســـلامي خـــلال القـــرن السادس. بيروت ، دار الشروق ، ط :1 ، 1983 م.
110)- موسى عز الدين عمر ، الموحدين في الغرب الإسلامي " تنظيمـــاتهم و نظمهـــم " . لبنان، دار الغرب الإسلامي ، ط :1 ، 1991 م .
111)- الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث . الجزائـــر ، دار الكتـــاب العربي للطباعة و النشر ، 2010 م ، ج :2.
112)- النجار فخري خليل ، تاريخ الحضـــارة الإســـلامية . الأردن ، دار الصـــفا للنشـــر و التوزيع ، ط :1 ، 2011 م .

- مراجـــــع مترجمـــــة :

113)- ليفنتسكي تاديوس ، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية . تر : ماهر جرار و ريما جرار ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط :1 ، 2000 م .

- المعـــــاجـــــم و الموسوعـــــات:

114)- غالب حنا ، كتر اللغة العربية " موسوعة في المترادفات و الأضداد و التعابير " . لبنان، مكتبة لبنان ناشرون ، ط : 1 ، 2003 م.
115)- قعدان عبد الفتاح ن المعجم الإسلامي من باب الضاء – الكاف . عمان ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، ط :1 ، 2012 م ، ج :3.
116)- مجموعة مؤلفين ، الموسوعة العربية العالمية (ر- ز) .المملكة العربيـــة الســـعودية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ، ط : 2 ، 1999 م ، ج : 11.
117)- نبهان يحي محمد ، معجم المصطلحات تاريخ .عمان ، دار يانا للنشـــر و التوزيـــع ، ط :1 ، 2007 م.

- رسائـــــــل جامعيـــــــــــة :

118)- بو صوار خيرة – عياد زهرة ، الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الموحدين . تيارت ، جامعة ابن خلدون 2010- 2011 م.

119)- حلوي حبيبة ن دراسة مدينة من المغرب الأوسط منذ الفتح حتى عهـــد الموحـــدين ، تيهرت ، نموذجا " مذكرة لنيل شهادة الماستار " . تيارت ، جامعـــة ابـــن خلـــدون ، 2013 – 2014م.

120) - شادي إبراهيم عبد القادر ، السبي في الإسلام " مذكرة ليســـانس " . فلســـطين ، جامعة النجاح الوطنية في نابلسي ، 2010 م.

121) - شراقي توارة ، الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي علي عهد الموحـــدين " رسالة ماجستير " . الجزائر ، معهد التاريخ ، 2008 – 2009 م.

122) - هيصام موسى ، الجيش الحمادي " مذكرة ماجستير " . جامعة الجزائر ، 2001 م .

- المقـــــــــالات:

124- بشاري لطيفة ، دور الرقيق في المجتمع الاباضي بتيهرت . المجلة الخلدونيـــة ، أكتـــوبر 2009 م ، يبدأ المقال من صفحة : 141 و ينتهي عند صفحة : 144.

125 - بلعربي خالد ، البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد ، دورية كان التاريخيـــة ، ع : 5 ، سبتمبر 2009 م ، يبدأ المقال من صفحة : 29 و ينتهي عند صفحة : 35 .

126 – الترمانيني عبد السلام ، الرّق ماضيه و حاضره . الكويت ، سلسلة عـــالم المعرفـــة ، 1985 م ، يبدأ المقال من صفحة : 17 و ينتهي عند صفحة : 52 .

127 - عباس إحسان ، المجتمع التاهرتي في عهد الرســـتميين ، مجلـــة الأصـــالة ، ع :47 ، تلمسان، 2011 م ، مج :17 ، يبدأ المقال مـــن صـــفحة : 27 و ينتـــهي عنـــد صفحة : 47 .

الموضوع **الصفحة**

مقدمـــــة.....أ-د

مدخـــل : نشأة الرّق في الإسلام.....06

الفصل الأول : مفهوم العبيد"و أنواعهم ، مصادرهم، نشاطهم"

المبحث الأول : العبيد و أنواعهم.....17

1- مفهوم العبيد.....17

- التعريف اللغوي.....17

- التعريف الاصطلاحي.....18

2- أنواعهم.....20

- العبيد السود.....20

- العبيد البيض.....23

المبحث الثاني: مصادر العبيد.....27

1-الحرب و الأسر.....27

2-الفقر والتجارة.....31

المبحث الثالث: النشاط الاقتصادي و الاجتماعي للعبيد.....34

1-النشاط الاقتصادي.....34

- الزراعة والصناعة.....34

- التجارة.....34

2-النشاط الاجتماعي.....36

- الخدمة في البيوت.....36

- الخدمة خارج البيوت.....39

الفصل الثاني: العبيد في بلاد المغرب الأوسط.

المبحث الأول: العبيد في الدولة الرستمية.....42
1- العبيد في المجتمع الرستمي.....42
2- تجارة العبيد في أسواق تيهرت.....45
3- دور العبيد في الحياة السياسية.....49
المبحث الثاني: العبيد في الدولة الحمادية.....54
1- المجتمع الحمادي.....54
2- مجالات تواجد العبيد في المجتمع الحمادي :.....56
المبحث الثالث: العبيد في المغرب المرابطي.....59
1- مصادر العبيد خلال عصر المرابطين.....59
2- ظروف تواجد العبيد في العصر المرابطي.....63
3- معاملة العبيد في العصر المرابطي.....65
المبحث الرابع: العبيد في المغرب الموحدي.....69
1- المجتمع الموحدي.....69
2- روافد العبيد في المغرب الموحدي.....70
3- العبيد كعنصر في الجيش الموحدي.....73
خاتمـــــة.....80
ملاحـــق.....83
قائمة المصادر والمراجع.....88
فهرس الموضوعات.....99